تاريخ القدس الشريف

المعروف بتاريخ أورشليم

تأليف

خليل خطار سركيس

الكتاب: تاريخ القدس الشريف.. المعروف بتاريخ أورشليم

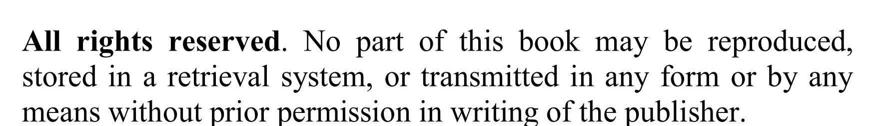
الكاتب: خليل خطار سركيس

الطبعة: ٢٠٢٢

الطبعة الأولى : ١٨٧٤ م

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم –
الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

سركيس ، خليل خطار
تاريخ القدس الشريف.. المعروف بتاريخ أورشليم / خليل خطار سركيس – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٤٠ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٠ – ٤٦٤ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٥٦٥٧ / ٢٠٢٢

تاريخ القدس الشريف

المعروف بتاريخ أورشليم





تمهيد

لما كان كثيرون يرغبون فى الوقوف على حقائق تاريخ مدينة القدس الشريف لما لها من عظم الأهمية الدينية والتاريخية ولم يكن لها تاريخ خاص بها بين الكتب العربية أخذت منذ مدة فى بذل مدة الجد فى جمع تاريخ لها يتضمن كل ما جرى فيها منذ أقدم عهد عرفت فيه إلى الآن وبعونه تعالى قد تيسر لى ذلك فجاء طبق المرام وقد أسندت كل كلامى إلى أقوال معمول على صحتها مأخوذة من الكتب الدينية والكتب التاريخية المتضمنة شيئا من أخبار هذه المدينة الشهيرة التى كانت مدة طويلة من الأعصر القديمة أعظم مدينة فى العالم.

هذا ولما تم تأليفى هذا نقلا عن أصح المؤلفات بهذا الشأن أخذت فى مراجعته ومقابلته على التآليف التى نقلته عنها حذرا من الخطأ وأعتنيت بذلك إعتناء تاما راجيا أن يكون كتابا مفيدا نافعا لأبناء الوطن ولغيرهم من الذين يحبون أن يطالعوا التواريخ الشرقية وعلى الخصوص تاريخ هذه المدينة التى أكتسبت فى البلاد الأوروبية أعظم أهمية فأخذ السياح والزوار من كل قطر وناد يتهافتون إليها ليتحققوا حوادثها التاريخية بواسطة آثارها الباقية وغيرها. وأرجو أصحاب الخبرة والمعرفة أن يسبلوا ستر المعذرة فجل من لا يغلط والعصمة لله

مقدّمة

فى مركز أورشليم الجغرافى

إن هذه المدينة من أقدم مدن العالم على ما يظن غير أنه لا يعرف وقت تأسيسها وأول ما ذكر عنها ملاقاة ملكيصادق ملكها لإبراهيم الخليل حين كان راجعا من كسرة الملوك[1] وكانت تعرف وقتئنذ بمدينة ساليم أى مدينة السلام فيكون أول مرة ذكرت فى التواريخ سنة ١٩١٣ قبل المسيح وذكرت ثانية فى المريّا سنة ١٨٧٣ قبل المسيح إذ أمر الله إبراهيم أن يقدم بنه ذبيحة هناك ويظن ذلك على الصخرة التى أمست الآن داخل الحرام الشريف [2] وهذه المدينة مبنية على أربعة جبال وهى : صهيون. ومريّا. واكرا. وبزيثا.

ويحيط بها أودية غلّا من شمالها ومايليه إلى الغرب. فإلى الجنوب وادى ابن هينوم وإلى الشرق وادى قدرون وهو وادى يهو شافاط وهناك بستان الجسمانية وبقربه بركة سلوام وقرية يقال لها أيضا سلوام. وفى

[1] كدر لعومر ملك عيلام وتدعال ملك جويم وأمر فال ملك شنعار واربوك ملك الأسر.

سفر التكوين ١٤ : ٩.

(جويم) : كلمة عبرية معناها الحيوانات أى كل ممن غير اليهود.

[2] وهى صخرة كبيرة فى جبل مريّا محيطها نحو أربعين ذراعا وعلى ما يظن إن إبراهيم الخليل أعد الحطب عليها ليقدم أبنه إسحق ذبيحه لله وبعد أن نهاه الله عن ذلك قدم عليها ذبيحة كبشا أرسلة الله له.

إسماعيل هو الذبيح وليس إسحاق والذبح فى مكة المكرمة.

شرقى المدينة جبل الزيتون الذى صعد منه السيد المسيح إلى السماء وقرية بيت عنيا وتسمى الآن العازرية وبها القبر الذى أقام منه السيد المسيح لعازر من الموت وفى جنوبها الغربى ببيت لحم وهى القرية التى ولد المسيح فيها وهى تبعد عنها ساعتين وإلى جنوبى القدس على بعد ٣٠ ميلا الخليل وعن بعد ٣٣ ميلا البحر و١٨ ميلا الأردن و٣٦ ميلا السامرة ولا حاجة للتفصيل أكثر مما ذكر إذ أن فى ما مر تمهيدا كافيا.

الفصل الأول

دخول إبراهيم الخليل أورشليم ودخول الإسرائيليين إليها تحت قيادة يشوع بن نون إلى ملك داود

إن هذه المدينة كانت أولا تحت حكم ملك ساليم كما ذكرنا فى المقدمة وذلك سنة ١٩١٣ قبل التاريخ المسيحى وعرف ذلك من دخول إبراهيم إليها سنة ١٨٧٣ ومن ثم لا نعرف شيئا عنها إلى أن دخلها الإسرائيليون وذلك سنة ١٤٥١ قبل الميلاد وعرف وقتئذ أنها مدينة لليبوسيين وهم قبيلة من قبائل الكنعانيين.

وإذ كانت هذه المدينة مختارة من الله لغايات معروفة وعد شعبه إسرائيل بها مع بقية أرض كنعان. فقدم إليها شعب إسرائيل الذى كان وقتئذ فى مصر تحت قيادة موسى النبى ولكن لتمرد الشعب على الله ومخالفتهم وصاياه غضب عليهم وأقسم أن لا يدخلها أحد من جميع الذين خرجوا من مصر وعددهم أكثر من ستمائة ألف رجل إلّا يشوع بن نون وكالب بن يفنّة وذلك لأنهما وجدا أمنيين حين أرسلهما موسى النبى ليتجسّسا أرض كنعان.

وسنة ١٤٥١ بينما كان شعب إسرائيل يتقدم فى أرض كنعان نحو أورشليم سمع أدونى صادق ملك أورشليم فخاف جدا وأرسل إلى هوهام

ملك حبرون وفيرام ملك يرموث ويافيع ملك لخيش ودبير ملك عجلون وطلب معونتهم على ضرب جبعون لأنها صالحت يشوع بن نون قائد جيوش إسرائيل. فأجابوا طلبه وذهب خمسة ملوك الأمور بين فلما بلغ أهل جبعون ذلك طلبوا مساعدة يشوع. فأجاب طلبهم بأمر الله وأتى لمحاربة الملوك الخمسة بغتة فكسرهم كسرة عظيمة فأختبأوا فى مغارة فى مقيدة وإذ بلغ يشوع ذلك أمر بسد فم المغارة إلى حين وسار لمقاتلة جيوشهم فقتل منهم عددا غفيرا ولم يبق منهم إلّا القليلين الذين التجأو إلى الحصون وحينئذ أمر يشوع بفتح المغارة وإخراج الملوك وأمر قواد حربه أن يدوسوا أعناقهم. ثم علقوهم على أخشاب إلى المساء ثم طرحوهم فى المغارة التى أختبأوا بها وسدوا بابها حجارة عظيمة وهكذا هلك ملك أورشليم.

ثم فى ١٤٤٤ ق. م تقدم بنود يهوذا وبنيامين (من شعب إسرائيل) وحاربوا أورشليم فأمتلكوا الجهة السفلى منها وسكنوا مع اليبوسيين ووضعوا الخيمة التى فيها تابوت العهد والمذبح والمنارة فى جبل المريا وتم ذلك بإرادة كالب بن يفنّة الذى وكله يشوع بن نون.

وسنة ١٤٣٥ ق. م صعد يهوذا قائد جيوش إسرائيل بعد يشوع لمحاربة الكنعانيين فضربوا أدونى بازق فى بازق مدينته وأخذوه أسيرا ثم قطعوا أباهم يديه ورجليه وكان هذا الملك قد فعل بسبعين ملكا كما فعل به فحصد ما زرع ثم مات فى أورشليم.

وفى تلك السنة حارب بنو يهوذا أورشليم ثانية فأمتلكوها وضربوا

سكانها بحد السيف وحرقوا المدينة بالنار. وإذ كانت هذه المدينة من قسم بنى بنيامين سكن هؤلاء مع اليبوسيين إلى أن طردهم داود النبى كما سيأتى.

وسنة ١٠٤٨ ق. م دخل إليها الملك داود التبى وطرد اليبوسيين الذين كانوا يسكنون صهيون وباشر بناء بيت له بمساعدة حيرام ملك صور الذى أرسل له خشب أرز وبنائين وجعلها عاصمة مملكته عوضا عن شكيم التى تدعى الآن نابلس وبقى ملكا فيها **٣٣** سنة على إسرائيل ويهوذا وولد له أولاد وهم شموع وشوباب وناتان وسليمان.

الفصل الثانى

يحتوى على مدة ملك داود وسليمان أبنه وما جرى لهما من الحوادث والحروب فى أورشليم

ولما خضعت تلك الأراضى لداود النبى أدخل إلى المدينة تابوت العهد الذى سار أمام بنى إسرائيل إلى أرض كنعان وذلك سنة ١٠٤٣ ق. م ، [١] وفى هذه السنة : ضرب داود ملك أورشليم الفلسطينيين وكسرهم وإذ لهم وضرب الموابيين أيضا وحارب هدر عزر فأتى لنجدته أرام دمشق فكسرهما وشتت شملهما.

وفى سنة : ١٠٣٧ ق. م مات ناحاش ملك بنى عمون وملك ابنه حانون عوضا عنه فأرسل داود الملك رسلا يعزونه فلما وصلوا قال عبيد حانون له : لا يغرّنك داود فأنه لم يرسل رسلا ليعزوك بل ليتجسسوا الأرض فحلق حانون حينئذ أنصاف لحاهم وشق ثيابهم من الوسط ثم أطلقهم ولما بلغ داود ذلك غضب ونهض لقتال بنى عمون.

أما بنو عمون فأستاجروا من يجاورهم من الأبطال وتقدموا لمحاربة إسرائيل فالتقاهم الإسرائيليون تحت قيادة يواب ابن صرويا وأخيه

---

[١] ٣ صموئيل ٦ : ١٢.

ابيشاى فضرباهم وكسراهم ورجعا بجيوشهما إلى أورشليم.

وسنة ١٠٣٦ ق. م اجتمع العمونيون ثانية وانضموا إلى قبائل أخرى وتقدموا لمحاربة إسرائيل فجمع داود الملك جنوده وضربهم فى عبر الأردن وكسرهم وقتل منهم سبعمائة مركبة [(١)] ، وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشهم فمات هناك.

وسنة ١٠٣٥ ق. م أرسل داود الملك يواب قائد جيشه فحاصر ؟ ؟ ؟ بّة بنى عمون وأخذها بعد حرب دامت نحو سنتين ورجعوا إلى أورشليم.

وسنة ١٠٣٣ ق. م جاهر ابشالوم بن داود بالعصيان على أبيه واسرق قلب الشعب ودخل بجيشه إلى أورشليم ، أما داود ففر من وجهه مع رجاله وعبر الأردن ثم رتب جيوشه وتقدم لمحاربة جيش ابشالوم فأنتصر عليه وقتل من الفريقين ٣٠ ألفا من جملتهم ابشالوم ورجع الملك إلى أورشليم.

وسنة ١٠٣١ ق. م حدثت حروب كثيرة بين داود والفلسطينيين وكان النصر بها لداود.

وسنة ١٠١٧ قبل المسيح أمر داود النبى يواب أن يحصى عدد شعبه فطاف تسعة أشهر وعشرين يوما ورجع إلى أورشليم وكان عدد الشعب ثمانمائة ألف رجل من إسرائيل ومن يهوذا خمسمائة ألف فمات منهم عدد كثير وحينئذ أمر ملاك الرب جاد النبى بأن يقول للملك داود أن يقيم

---

(١) ٣ صموائيل ١٠ : ١٨.

مذبحا في بيدر أرنان اليبوسى فكان كذلك وبنى داود مذبحا للرب وأصعد محرقات ودعا الرب فأستجاب له وأرسل نارا من السماء على مذلح المحرقة وصفح الله لداود وأمر ملاكه أن يكف عن القتل. فكان عدد من قتل من الشعب سبعين ألف رجل.

وسنة ١٠١٥ ق. م توفى داود الملك وخلفه فى الملك أبنه سليمان وكان ملكا حكيما فطنا ذا سطوة وثروة عظيمتين وهو الذى بنى هيكل أورشليم المشهور فأنفق عليه أموالا جزيلة وأتى له بخشب من لبنان بمساعدة حيرام ملك صور وزين الهيكل بالنقوش المغشّاة بالذهب وكانت قيمة الذهب فى أورشليم فى أيامه كالتراب وكان الأبتداء فى بنائه سنة ١٠١٣ ق. م وانتهاء بنائه سنة ١٠٠٤ ق. م وفى هذه المدة أدخل تابوت العهد إلى الهيكل.

وسنة ١٠١٤ تزوج سليمان الحكيم بابنه فرعون ملك مصر وتزوج بنساء كثيرات غيرها بلغ عددهنّ ألف أمرأة وقد أجمع جميع المؤرخين على أنه هو الذى بنى مدينتى بعلبك وتدمر وكانت مدة ملكه أربعين سنة.

وفى هذه المدة كانت صداقة جارية بين سليمان ملك إسرائيل وحيرام ملك صور الذى أرسل له فعلة كثيرين حينما كان يبنى بيته والهيكل.

وسنة ٩٩٣ قبل المسيح أتت ملكة سبأ على أورشليم بموكب عظيم وهدايا فاخرة وسرّت بما شاهدت من حكمة سليمان وحسن إدارته

وقالت له أننى لم أسمع بنصف ما شاهدت فطوبى لرجالك ولعبيدك الواقفين أمامك دايما السامعين حكمتك وبعد أن أعطته مائة وعشرين وزنه ذهب وأطبابا كثيرة وحجارة كريمة رجعت إلى أرضها.

وسنة ٩٨٠ ق. م بينما كان يربعام بن ناباط خارجا من أورشليم لاقاه النبى أخيا الشيلونى وقال له أنه سيملك على أسباط إسرائيل خلا سبطى يهوذا وبنيامين اللذين يبقيان لنسل سليمان فلما عرف سليمان بذلك طلب قتل بريعام ففر من أمامه إلى مصر والتجأ بشيشق ملكها ولم يرجع حتى مات سليمان.

الفصل الثالث

حالة أورشليم من ملك رحبعام إلى ملك حزقيا

سنة ٩٧١ ق. م أتى شيشق ملك مصر إلى أورشليم وحاربها بألف ومائتى مركبة وستين ألف فارس وشعب عظيم وكان ملكها حينئذ رحبعام بن سليمان فأنتصر عليها وغلبها ونهب خزائن بيت المقدس وبيت الملك وأموالا كثيرة.

وفى تلك الأيام كانت حروب طويلة بين ملك إسرائيل وملك أورشليم وكانت الغلبة سجالا تارة لهذا وطورا لذلك.

أما بداية ملك رحبعام فكانت سنة ٩٧٥ قبل المسيح وكان عمره حين ملك ٤١ سنة ومات سنة ٩٥٨ ق. م وخلفه فى الملك ابيام ابنه وملك ثلاث سنين فى أورشليم ولم يحسن السيرة وكانت كل أيامه حربا مع بريعام.

وسنة ٩٥٥ ق. م بعد أن توفى ابيام ملك آسا على أورشليم ٤١ سنة وكان مستقيما أمام آلهه وأرسل فى مدة ملكه إلى بنهدد بن طبر يمون ملك دمشق وطلب إليه أن يعينه على محاربة ملك إسرائيل فأرسل فرسانا وضربوا لإسرائيل فأنهزم ملك إسرائيل أمام آسا.

وسنة ٩١٤ ق. م توفى آسا وملك ابنه يهوشافاط عوضا عنه وسنة ٨٩٣ ق. م ملك يهورام على أورشليم.

وسنة ٨٨٥ ق. م ملك أخزيا وذهب مع يورام بن اخاب ملك إسرائيل لمقاتلة أرام وفى مدة حربه مع ارام صار مسح ياهوين يهوشافاط بن نمشى ملكا وهو الذى ضرب يورام فهرب إلى قرية مجدّو ومات هناك فنقله عبيده إلى أورشليم ودفنوه فى قبر أبائه.

ولما ملك ياهو قتل سبعين من أولاد اخاب واثنين وأربعين من أخوة أخزيا وقتل أيضا أنبياء البعل.

وسنة ٨٤٤ ق. م مات ياهو وملك ابنه يهواحاز عوضا عنه.

وسنة ٨٤٠ ق. م قبل الميلاد أتى حزائيل ملك أرام إلى أورشليم ليحاربها فأخذ يهو آش جميع انية الذهب من الهيكل ومن بيته وأعطاها لحزائيل.

ولما مات جزائيل وملك ابنه بنهدد قام يهواش وحاربه وأخذ كل القرى التى كان قد أخذها من إسرائيل فرجع عنه.

وفى هذه السنة : إذ كان زكريا بن يهوياداع الكاهن يوبخ شعب إسرائيل على تركهم الله وعبادتهم الأصنام قام كل الشعب عليه ورجموه بالحجارة بأمر يواش الملك فى دار الهيكل.

وسنة ٨٣٩ ق. م قام على بواش أثنان من عبيده وقتلاه وملك ابنه امصيا مكانه على يهوذا.

وسنة ٨٣٦ ق. م قام يواش ملك إسرائيل وحارب امصيا وأخذ المدينة وهدم أكثر سورها وأخذ ما وجد فى الهيكل من المال ولما تثبت ملكه قتل عبديه اللذين قتلا أياه. وحدثت فتنة فى أورشليم فطلب الشعب قتل امصيا فهرب إلى لخيش فتبعوه إلى هناك وقتلوه.

وفى هذه السنة : بعد موته قام شعب يهوذ وأخذوا عزيّا ابنه وملكوه عليهم وهو ابن ست عشرة سنة وكان مستقيما عادلا كأبيه وفى مدة ملكه حارب الفلسطينيين وقهرهم وهدم سور جت وسور يبنة وسور أشدود وبنى مدنا فى أرض أشدود وقهر العرب والمعونيين وبنى أبراجا فى أورشليم وفى البرية وحفر آبارا وكانت جيوش الحرب فى أيامه منظمة مع العدد الحربية الجيدة التى عملها.

وسنة ٧٦٥ ق. م إذ كان قد خان الهه باصطناعه مذبحا غريبا وتقديمه بخورا عليه ضربه الله بالبرص ولم يزل أبرص إلى أن مات بعد أن ملك أثنين وخمسين سنة.

وفى سنة ٧٥٨ ق. م موته ملك يوثام ابنه وكان ملكا شجاعا مستقيما وقد بنى مدنا فى جبل يهوذا وبنى فى الغابات قلعا وأبراجا وحارب العمونيين وغلبهم فأعطوه مائة وزنة من الفضة وعشرة آلاف كرقمح ومثله من الشعير وذلك على مدة ثلاث سنوات. وكان من الأنبياء فى مدة ملكه وملك احاز وحزقيا (أى من سنة ٧٥٩ ق. م إلى سنة ٧٠٠ ق. م) اشعيا النبى بن اموص وقد تنبأ نحو ٧٠ سنة.

وسنة ٧٤٣ ق. م كان رصين ملك ارام وفقح بن رمليا ملك

إسرائيل ياتيان ويضايقان يهوذا.

وفيها : ملك احاز بن يوثام وفى مدة ملكه أتى ملك ارام وملك إسرائيل وحاربا احاز ولم يقدرا عليه حينئذ أرسل بتذلل لتغلث فلا صر ملك أشور طالبا إليه أن يخلصه من ملك ارام وملك إسرائيل وأهداه الذهب الذى كان فى الهيكل وفى بيته فسمع له وأتى بجيش عظيم وأخذ دمشق وقتل ملكها ومات احاز سنة ٧٢٦ ق. م وملك حزقيا ابنه عوضا عنه.

الفصل الرابع

حالة أورشليم في مدة حروبها مع ملوك آشور وتسلطهم عليها

سنة ٧٣٠ ق. م أتى شلمنا صرملك أشور وحارب إسرائيل وسباهم إلى أرضه وأتى ملك أشور بقوم من بابل واسكنهم فى مدن إسرائيل عوضا عنهم فأغاظ ذلك آله إسرائيل فأرسل عليهم السباع فكانت تفترس منهم وإذ بلغ ملك آشور ذلك أرسل كاهنا من مسيى إسرائيل ليعلمهم شريعة الله فأرتدت السباع عنهم وهذا كان أصل السامريين.

أما حزقيا بن احاز فحكم بالعدل وكان مستقيما أمام آلهة وسحق الحية النحاسية [١] التى عملها موسى [٢] لأن إسرائيل مال إلى عبادتها.

وسنة ٧٣٣ ق. م صعد شلمنا صرّ ملك أشور على إسرائيل وحاربهم إلى سنة ٧٣١ ق. م إذ أخذ الأرض وسبى شعبها ثانية.

وسنة ٧١٣ ق. م صعد سنحاريب ملك أشور على مدن يهوذا وأخذها فأرسل حزقيا يتذلل لملك أشور قائلا له أرجع عنى فأفعل كل ما

---

[١] سفر الملوك الثانى ص ١٨ : ٤.

[٢] سفر العدد ص ٣١ من عدد ٦ إلى ٩.

تطلبه منى فطلب منه ٣٠٠ وزنة فضة و٣٠ وزنة ذهب فألتزم لدفع ذلك أن يعطيه ذهب الهيكل وبيته وإذ لم يكف قشر الذهب عن أعمدة الهيكل وأبوابه.

وسنة ٧١٠ ق. م أتى ملك أشور أورشليم وأرسل ثلاثة من قواده إلى الملك ليخاطبوه ولما قربوا إلى المدينة طلبوا حزقيا الملك فأرسل لهم ثلاثة من حشمه فأهان رسل ملك أشور رسل حزقيا بالكلام وبالتعبير لاله إسرائيل وملكه وشعبه فتذلل حزقيا أمام أله فأستجاب له وأرسل ملاكه وضرب من الأشوريين ٨٥ ألفا فى الليل ولما أصبح الصباح ورأى ملك أشور ذلك ارتد راجيا إلى بلاده مهزوما مقهورا لالهه قتله ابناه وهربا إلى أرمينية وملك اسرحدون ابنه عوضا عنه.

وأما حزقيا ملك أورشليم فكان ذا ثروة عظيمة وعمل لنفسه خزائن للفضة والذهب والحجارة الكريمة والاطياب والاتراس ومخازن للحنطة والزبيب واوارى لكل أنوع البهايم وهو الذى سد مخرج مياه جيحون الأعلى وأجراها تحت الأرض إلى أورشليم ولم يزل إلى الآن فى أورشليم بركة تدعى حزقيا.

ومات سنة ٦٩٨ ق. م وملك منسى ابنه مكانه ولم يكن مستقيما كأبيه سنة ٦٤٣ ق. م وملك آمون ابنه عوضا عنه واتفق عبيده على قتلوه فقتلوه وملك يوشيا ابنه عوضا عنه وذلك سنة ٦٤١ ق. م وكان يوشيا صالحا ومستقيما وهو الذى رمم هيكل أورشليم بعد أن كان قد تخرب بسبب حروب ملك أشور وأزال العبادة الباطلة من أورشليم

ويهوذا وأباد السحرة والعرافين من بلاده وذبح كهنة المرتفعات وحرق عظامهم.

وسنة ٦١٠ ق. م صعد فرعون نخو ملك مصر لمحاربة أشور فصعد يوشيا لملاقاته إلى مجدّ فلما رآه فرعون قال له أرجع عنى ليس إليك جئت فلم يسمع له يوشيا فضربه بسهم فى الترقوة وقتله فأرجعه عبيده إلى أورشليم ودفنوه وملكوا يهواحاز ابنه عوضا عنه. ثم أسره فرعون نخو الذى قتل أباه وغرّم الأرض بمائة وزنة فضة ووزنة ذهب وملّك الياقيم بن يوشيا عوضا عن أبيه الذى قتله وغير أسمه إلى يهوياقيم.

الفصل الخامس

حالة أورشليم فى مدة حروبها مع ملوك بابل ودخلوها تحت سلطتهم وتسلط ملوك مادى وفارس عليها

فى أيام يهوياقيم صعد نبوخذ ناصر ملك بابل إلى أورشليم فتعبد له يهوياقيم ثلاث سنين وكان ردى السيرة فمات وملك يهوياكين ابنه عوضا عنه.

وسنة **٥٩٩** ق. م أرسل نبوخذ ناصر ملك بابل قوما إلى أورشليم فحاصروها ثم أتى بنفسه فخرج يهوياكين الملك وأمه وحشمه مسلّمين لملك بابل فسباهم وأخذهم إلى بابل مع جميع عظماء إسرائيل ولم يبق فى أورشليم إلّا المساكين والفقراء ثم أقام عليهم ملكا متنياعم يهوياكين الذى غير اسمه إلى صدقيا ورجع مع السبايا إلى أرضه وبقى صدقيا خاضعا له سنة **٥٩٣** ق. م ومن ثمّ عصى عليه إلى سنة **٥٩٠** ق. م.

وفى هذه السنة : إذ كانت المدينة محصنة تحصينا منيعا أتى نبوخذ ناصر الملك وكل جيشه لمحاربتها وبنى أبراجا حولها وشدد عليها الحصار فدام إلى سنة ٥٨٨ ق. م وحينئذ إذا اشتد الجوع فى المدينة ثغر الملك ورجال الحرب ليلا سورها وطلبوا النجاة فطلبهم الكلدانيون وأدركوا الملك فى برية اريحا وأخذوه إلى ملك بابل المقيم فى ربلة فقتلوا بنيه أمامه وقلعوا عينيه وقيدوه بالسلاسل وأخذوه إلى بابل.

ثم دخل رئيس جيوش ملك بابل إلى أورشليم وحرق الهيكل وكل المدينة وهدم أسوارها وسبى شعبها وأخذ كل ما يؤخذ إلى بابل من الذهب إلى النحاس.

وسنة ٥٣٦ قبل الميلاد عند تملك كورش [١] مملكة فارس مع داريوس المادى خاله أمر شعب إسرائيل أن يرجعوا إلى أرض كنعان ويبنوا الهيكل الذى كان قد هدمه جيش نبوخذ ناصر ملك بابل وأرجع أنية الذهب التى سلبها نبوخذ ناصر فرجع نحو ٥٠ ألفا تحت قيادة زربابل بن شألتيئيل الذى ولّاه ملك بابل على يهوذا وشرعوا فى بناء السور والهيكل سنة ٥٣٥ قبل الميلاد.

ولما كانوا يشتغلون صد ثم سنبلط وسكان البلاد من الأمم الذين اسكنهم نبوخذ ناصر الملك أرض إسرائيل وكتبوا إلى ارتحشستا الملك فى سنة ٥٣٣ ق. م يخبرونه أن اليهود الذين صعدوا من عندك قد أتو أورشليم وبنوا أسوارها وهيكلها وعن قريب يعصون أوامرك فأرسل ارتحشستا إلى ولاته فى أرض إسرائيل يأمرهم أن يصدّوا اليهود عن العمل ولما أخبروهم بأمر الملك أجابوا أننا لم نبيه إلا بأمر كورش ملك فارس وهو أعطانا الأنية التى سباها نبوخذ ناصر وقد أمر أن تعطى النفقة من خزينته فأخبر الولاة بذلك داريوس الملك الذى قد تولى مملكة الفرس بعد أرتحشستا فأمر أن يراجع كتاب أخبار الملوك لعله يرى صحة ذلك فوجد كما قال شعب اليهود وحينئذ أمر ببناء أورشليم وبأن تعطى النفقة

---

[١] وهو الذى أخضع مملكة بابل كلها مع سورية وفلسطين إلى ملوك الفرس بعد أن قتل بلشاصّر حفيد نبوخذ ناصر الذى خرب أورشليم وسبى شعبها.

من جزية عبر النهر [1] وذلك سنة ٥١٩ ق. م وأصدر ملك بابل أمرا بأن كل من يقاوم بناء هيكل أورشليم توخذ خشبة من بيته ويصلب عليها ويكون بيته مزبلة وهكذا كان يبنى هيكل أورشليم وأسوارها.

وفى هذه السنة : إذ كان العمل سائرا بنجاح كلى وكان قد سمع سنبلط وطوبيا والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رممت غضبوا وعزموا على أن يأتوا ويحاربوها فلما سمع شعب إسرائيل ذلك خافوا واستعدوا للدفاع فكان نصفهم يشتغل والنصف الآخر يحمل السلاح للمدافعة وإذ علموا أن شعب أورشليم عرف بذلك عدلوا عن عزمهم وهكذا تم تدشين الهيكل الثانى سنة ٥١٥ ق. م فمر عليهم أكثر من عشرين سنة قبل ترميم الهيكل ومائة سنة قبل تنميم السور وقد أنقرضت ملوك يهوذا الذين كان مقر حكمهم أورشليم وعددهم تسعة عشر ملكا أولهم رحبعام بن سليمان وأخرهم صدقيا بن يوشيا وقد سبى الفرس أورشليم ثلاث مرار من يد ملوك مملكة يهوذا الذين استقام ملكهم ٣٨٧ سنة بعد انفصالها عن بقية إسرائيل [2] وكان انقراضها سنة ٥٨٨ ق. م.

وسنة ٤٥٧ ق. م صدر أمر من ارتحشستا ملك فارس إلى عزرا

---

[1] أى من السامريين وهم سكان أرض إسرائيل الغرباء الذين أتى بهم ملك أشور من بابل وأسكنهم عوض شعب إسرائيل حينما سبوا إلى بابل كما تقدم.

[2] كان الأثنا عشر سبطا خاضعين لملك إسرائيل الذى كان كرسيه فى أورشليم وبقى ذلك إلى أن أغاظوا الله بعبادتهم الألهة الغريبة فأنقسمت مملكة إسرائيل إلى قسمين كما قال النبى أخيا الشيلونى وقد ملك على سبطى يهوذا وبنيامين رحبعام بن سليمان وعلى العشرة الأسباط الباقية ملك بريعام بن نباط وبذلك حدث هذا الأنقسام ، راجع سفر الملوك الأول الأصحاح الحادى عشر.

الكاهن أن يرجع من بابل إلى اورشليم هو وكل من أراد الرجوع من المسبيين وفوض عزرا بأن يقيم ولاة وقضاة حسب معرفته والهام ألهه.

فرجع عزرا مع من رجع معه وعند وصولهم إلى أورشليم باشر فى إصلاح حال الإسرائيليين بمساعدة شكنيا بن يحيئيل وقطعا عهدا مع ألهم بأن يطلقا النسا اللواتى أتخذوها لأنفسهم من غير شعب إسرائيل وهكذا أخرجوا كل النساء الغريبات مع الأولاد الذين ولدوا منهنّ وارجعا الشعب إلى الله.

وسنة ٤٤٥ ق. م أتى نحميا بن حكليا بأمر ارتحشستا ملك فارس وتولى على أورشليم وشرع فى بناء أسوارها التى كانت لم تزل بعد مهدومة. وبعد وفاته لم يعين ملك فارس واليا مخصوصا على أورشليم لأن اليهودية صارت بعد ذلك جزءا من ولاية الشام فكان الحبر العظيم يمارس الأمور السياسية والدينية معا من قبل والى الشام وبقى ذلك إلى أن دخلت أورشليم ومايليها فى طاعة الملك إسكندر المكدونى.

الفصل السادس

حالة أورشليم فى مدة تسلط إسكندر الكبير عليها

سنة ٣٣٢ ق. م أتى اسكندر المكدونى [١] قاصدا آسيا لمحاربة الفرس.

---

[١] هو إسكندر بن فيلبس المكدونى وأمه أولمبيا وهو الملقب بالكبير عند الأفرنج وبذى القرنين عند العرب ولد فى بلا سنة ٣٥٦ ق. م ، ولما بلغ سن ١٦ سنة حكم البلاد بمدة غياب أبيه الذى كان يحاصر بيزانسا وملك على مكدونية وهو ابن عشرين سنة ، وقد تعلم عن أبيه وعن أرسطوطاليس وكان محبّا لمطالعة كتب الحماسة وقد قال لبعض ندمائه وقتّاما وهو متنفس الصعداء أن أبى تغلب على جميع البلدان ولم يبق لى ما أتغلب عليه وبعد موت أبيه ألقى الرعب فى قلوب الجميع وكان كريما وقد بذل ما عنده من الأموال على كبار عسكره وإذ سأله أحدهم قائلا أى شيء ابقيت لك أجاب الرجاء ولما قدم لفتح آسيا أتى باهبة شهر واحد واثقا بقوته وسعده وعند فتحه الحرب مع داريوس قدمانوس ذهب بنفسه بهيئة رسول من إسكندر ونجا من الهلاك بعد أن حافه الخطر ثم تغلب عليه ففر داريوس ملتجئا إلى ما وراء نهر الفرات ووقعت أمرأته وابنتاه وأمه فى يد اسكندر فاكرمهنّ إكراما لائقا بهنّ وحاصر مدينة صور التى كانت قسمين أحدهما فى البر والآخر فى البحر وكانت على جانب عظيم من المتانة فبعد جهاد عظيم أخذ الجانب الذى فى البر وبقى عليه الجزيرة التى تبعد عن البر نصف ميل فأمر جنوده أن ينقلوا كل الردم والآثار ليصل البر فى البر فكان كما أمر وأخذ المدينة بعد حصار سبعة أشهر وسلمها للنهب والحرق وقتل نحو ثمالين ألفا من أهلها وباع نحو ثلاثين ألف أسير وبعد أن أخذ صور توجه نحو أورشليم وجرى له مع يدوع الحبر ما سيذكر فى محله ثم استفتح غزة وقتل من أهلها –

الفصل السابع

حالة أورشليم بعد موت إسكندر وتسلط ملوك الدولة السلوفية عليها وتسلط الدولة البطليموسية أحيانا عليها

في سنة ٣٣٣ ق. م توفى إسكندر وإذا لم يكن له ولد راشد ليملك بعده وقعت مملكته بأيدى قواده فكانت سورية كباقى ولاياته هدفا لسهام أولئك القواد الذين أحدثوا حروبا كثيرة ودامت إلى سنة ٣٠١ ق. م كما سيأتى.

وسنة ٣٣٣ ق. م مات يدوع الحبر وخلفه حنينا الأول.

وسنة ٣٣٠ ق. م تغلب بطليموس بن لاجوس ملك مصر على اليهودية وأسر نحو مائة ألف نفس من اليهود وساقهم إلى مصر وبقيت اليهودية خاضعة له إلى سنة ٣١٤ ق. م إذ أخذها انتيغونوس أحد قواد إسكندر لنفسه.

وسنة ٣١٢ ق. م تغلب بطليموس المذكور على ديمتريوس بن أنتيغونوس بقرب غزة فخضعت له أورشليم مع اليهودية.

وكان انتغونوس المذكور مجتهدا بتعظيم سطوته فى آسيا وإذ رأى بقية القواد ذلك اضطربوا وخافوا من إزدياد سطوته فنهضوا لمحاربته فأنتصر على جميعهم وذلك سنة ٣٠٧ ق. م وأخذ قبل الجميع لقب ملك.

وسنة ٣٠١ ق. م حدثت بينهم وبين أنتيغونوس وابنه ديمتريوس وقعة مهولة فى أفسس من آسيا الصغرى فدارت الدائرة على انتيغونوس وولده ديمتريوس وقتل أنتيغونوس فيها فأقتسم إذ ذاك قواد إسكندر مملكته إلى أربع ممالك [1] وكانت أورشليم تحت حكم سلوقس أحدهم الذى لقب بالغالب لانتصاره فى ٢٣ معركة ومنه سميت الدولة السلوقية. وقد أحسن هذا القائد التصرف مع اليهود وغيرهم وكان يكرم هيكل الإسرائيليين بالهدايا سنويا وفى مدة ملكه ذهب إليه قوم من اليهود الأشقياء وقالوا له أن فى هيكل أورشليم من الذهب والفضة والجواهر النفيسة ما لا يقدّر ولا يليق وضعه إلّا فى بيوت الملوك وكانوا يرغبونه فى إحضار ذلك إلى بيته وسهلوا له أخذ ذلك فأستمالوه إلى رأيهم وأرسل أروزوس رجلا من أكابر رجاله وأمره أن يأتيه بكل ما فى الهيكل من المال والجواهر فذهب حسبما أمر ولما وصل إلى أورشليم وعرف اليهود سبب حضوره خافوا واضطربوا ولا قاه حنينا الكاهن وشيوخ اليهود وأخبروه أنه لا يوجد شىء مما يطلبه فلم يصغ لهم وفى غد اليوم الثانى تقدم ليستولى على ما فى الهيكل فلما دخله سمع صوتا هائلا فأنتزع عن سرجه وسقط إلى الأرض مغشيا عليه وإذ شاهد أصحابه ذلك أخذوه إلى منزله وبقى أياما لا يأكل ولا يتكلم فأخذه

---

[1] من جملة قواد إسكندر أربعة قواد وهم بطليموس لاجوس. وكساندر وليسيماخوس وسلوقس. فبعد واقعة أفسس أقتسموا مملكته كساندر على مكدونية وبلاد اليونان.

وتملك ليسيماخوس تراقيا وبثينية وبعض أقسام آسيا الصغرى. وتملك سلوقس بقية آسيا من البحر الأسود إلى حدود النيل وسميت مملكة سورية.

أصحابه إلى حنينا الكاهن وطلبوا إليه أن يطلب من الله بأن يعافيه ويصفح عنه ففعل الكاهن وعوفى أروزوس فقدم حينئذ هدايا إلى حنينا الكاهن ورجع من أورشليم إلى مكدونية فأخبر الملك سلوقس بذلك فندم على أصدار هذا الأمر وعاد إلى إكرام هيكل أورشليم بالهدايا.

وسنة ٢٩٣ ق. م توفى سمعان الكاهن العظيم الملقب بالعادل وهو أخر من بقى من المحفل العظيم الذى رسمه عزر الكاهن لإصلاح حال اليهود.

وسنة ٢٨٠ ق. م إذ كان بطليموس فيلادلفوس بن بطليموس فيلادلفوس بن بطليموس لاجوس ملك مصر باذلا الجهد فى جمع مكتبة حاوية جميع أجناس الكتب الموجودة وكان قد بلغه وجود التوراة فى مدينة أورشليم باللغة العبرانية أرسل إلى العازر الكاهن يطلب إليه أن يرسل له سبعين شيخا من علماء اليهود ليترجموا التوراة من اللغة العبرانية إلى اليونانية لتوضع فى مكتبته ولمنفعة اليهود سكان مصر فلما ترجمت قوبلت فظهر أنها مطابقة بعضها للبعض الآخر وسميت بالسبعينية. فسر الملك بذلك ووهب أموالا كثيرة للعازر ورفقائه وأمر بأن تعمل مائدة ويصوّر عليها أرض مصر والنيل وكيفية مسيره ليسقى الأرض ورصّعت المائدة بالجواهر وقدمها هدية لهيكل أورشليم وأطلق من كان اسيرا من اليهود فى مصر ورد الاوانى الذهبية التى أغنمها بطليموس لاجوس إلى هيكل أورشليم.

وبعد موته خلفه بطليموس الثالث الملقب بالكريم وكان أبتداء ملكه

سنة ٢٤٦ ق. م وأثار حروبا كثيرة على انتيوخوس سيوس ملك سورية وبعد موته ملك بطليموس الرابع المسمى فيلوباترای محب أبيه تهكما لانه اتهم بقتله وذلك سنة ٢٢٢ ق. م وقد أثار اضطهادا على اليهود فى مملكته.

وسنة ٢١٨ ق. م حدث حرب عظيمة بين انتيوحوس الكبير ملك سورية وبطليموس فيلوباتر وبقيت إلى سنة ٢١٧ ق. م فى هذه السنة أغرى وزراءّ مصر الملك بطليموس ليقود الجنود بنفسه إلى الحرب فسار بجيش مولف من سبعين ألفا من المشاة وخمسين ألفا من الفرسان وثلاثة وسبعين فيلا قاصدا مهاجمة انتيوخوس الذى التقاه تحت أسوار مدينة رافيا (بين عريش مصر وغزة) باثنين وسبعين ألفا من المشاة وستة الاف من الفرسان ومائة وأثنين من الفيلة وبعد واقعة مهولة انتصر انتيوخوس على بطليموس فى الجهة التى كان مستلما قيادة عساكرها بنفسه وقد انكسرت عساكره فى الجهة الاخرى وطلبت الفرار بدون أن يشعر انتيوخوس الذى لما رأى مع جنوده الظافرة انكسار بقية الجنود ولوا مدبرين فانتصر بطليموس مع جنوده وأخذ رافيا ومدن سواحل بر الشام وفلسطين وطرابلس ودمشق بعد أن كانت فى قبضة انتيوخوس قبل ذلك ببرهة وجيزة وحينئذ عقدت هدنة سنة واحدة. وسميت هذه الواقعة واقعة رافيا وقد نتج منها تعذيب اليهود وقتلهم وسبب ذلك أن بطليموس كان قد التمس من الحبر العظيم الدخول إلى بيت المقدس فمنعه من ذلك فحقد على جميع اليهود وأمر باستئصال يهود الإسكندرية وكتب لجميع عماله أن يقتدوا به فى قتلهم واهلاكهم وأمر بان تدوس الأفيال كثيرين منهم.

وسنة ٢٠٤ ق. م مات بطليموس المذكور وتولى بعده الملك بطليموس ابيفانوس وسنة ٢٠٢ ق. م تغلب انتيوخوس الكبير على فينيقية واليهودية.

وسنة ١٩٨ ق. م استرجع سكوباس أحد قواد بطليموس ابيفانوس اليهودية من انتيوخوس الكبير وسنة ١٩٧ ق. م تغلب انتيوخوس على سكوباس وأخضع البلاد لسطوته.

وسنة ١٩٢ ق. م أعطى انتيوخوس الكبير ابنته كليوباتره زوجة لبطليموس ابيفانوس ملك مصر وأعطاها فينيقية وسوريا نظير مهر.

وسنة ١٨٩ ق. م جرت حروب كثيرة بين انتيوخوس والرومانيين وكان النصر للرومان فأخذوا جانبا من مملكته ولم يبق له سوى سورية واليهودية.

وسنة ١٧٥ ق. م بعد موت بطليموس المذكور تغلب انتيوخوس ابيفانوس [١][١] على مصر وغيرها من الممالك وأضاف ذلك إلى ملكه وسنة ١٧٣ ق. م أتى أورشليم فأستقبله أهلها بكرامة عظيمة. وكان عاتيا متجبرا فعل أصناما على صورته وأرسلها إلى كل مملكته وأمر بعبادتها والسجود لها أما اليهود فأمتنعوا عن عبادة الأصنام وقد قال يوسيفوس أنه فى ذلك الحين أى سنة ١٧٠ ق. م ظهر فى الجو صورة فرسان من نار على خيول نارية يقاتل بعضها البعض الأخر ورئى ذلك

[١] وهو من سلالة ملوك مملكة سورية اليونانية وسنذكر جميعهم فى جدول الملوك فى آخر هذا الكتاب ولم نذكر جميعهم هنا لعدم أهمية ما أجروه فى أورشليم وكانت سورية تارة خاضعة لهم وأخرى لملوك مصر وهكذا كانت مفر النزاع بين الدولتين.

فى أورشليم أربعين يوما وكان قد شاع خبر موت انتيوخوس كذبا فبلغ ذلك ياسون أحد الكهنة المعزولين منه فعزم على أن يسترد الكهنوت لنفسه ودخل أورشليم بألف مقاتل فقتل من كان يظن أنه عدو له. وكان وقتئذ ثلاثة من الكهنة الأشرار وهم ميالس وشمعون والقيموس فتحزب لهؤلاء رهط من أهل الشر ومضوا إلى الملك أنتيوخوس ووشوا له باليهود وقالوا له أنهم يبغضونه ويعصون أوامره ولا يطيعونه وأنهم رأوا ركبانا من نار فى السماء تدل على موته وأخبروه عن كل ما عمل ياسون بعد أن ظن أنه مات وإن اليهود فرحوا بموته وذلك ليهيجوا الملك انتيوخوس على الأنتقام من الأورشليميين ليمتلكوا غايتهم بهلاكم فأنقاد الملك لرأيهم وصدق كلما قالوا وسار إلى أورشليم بعسكر عظيم فوصل إلى المدينة بدون أن يشعر اليهود به فقتل أربعين ألفا من أهلها وباع أربعين ألفا وسلب ما كان فى الهيكل وهرب من بقى فى المدينة إلى البرارى والقفار مختبئين فى المغاير والأوجار. ثم ولّى على اليهود رجلا من قواده اسمه فيلكس وأمره أن يطلب إلى اليهود أن يسجدوا لأصنامه وأن يأكلوا لحم الخنزير ويمتنعوا عن الختان وحفظ السبت فكان كل من لا يقبل يقتل فقتل جمع كثير وأكرم الذين أطاعوا أوامره وكان أكثرهم إطاعة الكهنة الثلاثة ورهطهم المذكورين آنفا فتسلطوا على أخوتهم الذين لم يطيعوا الملك بعبادة الأصنام وعظم شرهم. وفى ذلك الوقت بلغ فيلكس أن أمرأة ختنت ولدين لها سرا فأمر أن يعلقا فى ثدييها وترمى بهما من مكان مرتفع قصار كما أمر وماتوا جميعا.

وسنة ١٦٧ ق. م وشى قوم من أولئك الأشقياء بالعازر الكاهن

الذى كان مقدام مترجمى الترجمة السبعينية فأحضره فيلكس وأمره أن يسجد للأصنام وان يأكل من ذبائحه فلم يقبل وأخيرا أماته معذبا. ووشى أيضا بالأخوة السبعة المعروفين بأولاد أشمونية فلما أحضرهم فيلكس أرسلهم إلى أنتيوخوس فأمرهم أن يعبدوا الأصنام وإذا لم يقبلوا قتلهم معذّبين أشر العذاب الواحد بعد الآخر وكان ذلك أمام عينى والدتهم التى كانت تشجعهم وتثبتهم فى إيمانهم وأخيرا فى ذلك الوقت ماتت أمهم أيضا ثم أرتحل انتيوخوس من أورشليم بعد أن حرض فيلكس على الثبات فى أهلاك كل من لا يسجد لأصنامه فأكثر من قتل اليهود وكان ذلك واسطة لأهلاك جمع كثير.

وسنة ١٦٦ ق. م قام رئيسا على اليهود رجل جبار من المكابيين وهو متثيا بن يوحانان الكاهن فإذا بلغه رجوع انتيوخوس إلى رومية وكان فارا مع من. فرّ إلى الجبال أرسل ابنه يهوذا سرا إلى أورشليم ليجمع كل أقوياء القلب ليحاربوا وينقذوا اليهود من ظلم اليونانيين فقويت قلوب اليهودية. وإذا بلغ فيلكس وقواده ذلك جمع جيشا لقتال متثيا ولما قربوا من الحل المقصود بلغهم أن قوما دخلوا إلى مغارة هناك وإذ لم يخرجوا أمر فيلكس الملك أن يوضع حطب فى باب المغارة ويحرق فكان كما أمر فأختنق من فيها من الدخان وعددهم ألف نفس. ثم صار قاصدا متثيا فوجده مع من معه مستعدين للحرب فشرع أصحاب انتيوخوس يحثونه على اطاعة الملك أما هو فكان يجيب بالأمتناع وفى أثناء كلامهم تقدم أحد جنود انتيوخوس وهو من اليهود الأشقياء وابتدأ يوبخ متثيا وأخذ خنزيرا وذبحه وقدمه على هيكل كان بناه اليونانيون

لمعسكرهم وذلك ليغيظ متثيا فتقدم إليه متثيا وضربه بالسيف فقتله وتقدم إلى القائد وقتله فأشتدت بذلك يد اليهود وشعفت يد اليونان وهربوا بعد انتشاب القتال فتبعهم متثيا ومن معه وقتلوا منهم جمعا غفيرا ولما سمع اليهود ذلك تشددت عزايمهم وأجتمعوا إلى متثيا وعزم الجميع على محاربة اليونان وفى هذه السنة أى سنة ١٦٦ ق. م توفى متثيا وتولّ ابنه يهوذا بعده فأرسل إليهم فيلكس صاحب انتيوخوس عسكرا فهزموه فقوى يهوذا.

ولما بلغ انتيوخوس ذلك وكانت وقتئذ الفرس عصت عليه سار نحوهم وأمر أحد قواده الذى كان نائبا عنه أن يوجه عسكرا قويا إلى اليهود ويبيدهم. فوجه ثلاث فرق تحت قيادة نيكاتور وتليماس وهيرودس وشدد عليهم الأمر بإبادة اليهود وإذ بلغ ذلك يهوذا بن متثيا جمع اليهود إلى الهيكل وصاموا وصلوا وطلبوا المعونة من الله ثم رتبهم فرقا فرقا وأمر بأن يرجع كل جبان القلب وكان من بقى معه سبعة آلاف رجل من الجبابرة الصناديد فسار بهم إلى معسكر اليونان وحملوا على فرقة نيكاتور فأنتشب القتال وكانت الغلبة ليهوذا فكسرهم كسرة عظيمة وبددهم وطلب الفرقتين الأخريين فأنتصر عليهما وبدد شملهما وكان فيلكس معهما فهرب والتجأ إلى بيت وأغلق بابه فجاء يهوذا وحرق البيت بالنار فأحترق فيلكس ومن معه وأما نيكاتور أحد القواد الثلاثة فهرب متنكرا إلى مكدونية وأخبر ليشاوس وكيل انتيوخوس بما أصابه وأما يهوذا المكابى فعاد إلى أورشليم منصورا بالطرب والإبتهاج.

وإذ بلغ انتيوخوس انكسار قومه قصد أورشليم بجيش جرار عازما

على أهلاك اليهود وخراب أورشليم فلم يتيسر له ذلك إذ مات فى الطريق وذلك سنة ١٦٤ ق. م. أما يهوذا فلما فرغ من محاربة اليونانيين دخل أورشليم وهدم جميع المذابح التى بنيت بأمر انتيوخوس وأزال الأوثان وأمر بتطهير القدس وبتنظيفه وبنى مذبحا جديدا وجعل عليه حطبا وذبائح مطهرة وقد قال يوسيفوس أنه دعا إلى الله وطلب منه أن يظهر نارا على المذبح فأستجاب له وأظهر نارا من حجارة المذبح بقوته العظيمة وبقيت إلى خراب أورشليم ثانية.

أما أفطر بن انتيوخوس اليونانى الذى تولى الملك بعد أبيه فلما بلغه ما حل بقومه أرسل ابن عمه ليشاوس لمحاربة اليهودية ولما بلغ يهوذا قدومه سار بقومه للقائه فلما رأوهم عن بعد خافوا لكثرتهم وقد قال يوسيفوس أنه نظر يهوذا شخصا راكبا فرسا من نار ولباسه يلمع كالذهب وبيده رمح وهو متوجه نحو اليونانيين كأنه يحاربهم فعلم يهوذا أنه ملاك مرسل ليقويه فقوى قلبه وقلوب جيشه وهجموا على عسكر اليونانيي بالليل فقتلوا جماعة منهم وأوقع الله فى قلوبهم الخوف فأنهزموا ملتجئين. ثم كاتب ليشاوس يهوذا فى أمر الصلح فتم ذلك وأعطوا اليهود حرية الدين وهكذا انتهت الحرب.

الفصل الثامن

أورشليم مدة تولى يهوذا عليها من قبل أفطر واتحاده مع الروم ثم محاربته أياهم وغلبتهم على أورشليم تارة وإنكسارهم أخرى عن يد رؤساء المكابيين وملوكهم إلى ملك هيرودس الكبير

وإذ كان يهوذا واليا من قبل أفطر على اليهودية كاتبه الروم على الاتحاد فخلع طاعة أفطر وأتحد معهم وفى ذلك الوقت أتى تلمياس من قبل أفطر بمائة وعشرين ألف رجل وألف فارس لمحاربة يهوذا فالتقاه بعشرة آلاف وبدد جيوشه. ثم أتى هيرودس أيضا بثلاثة آلاف رجل وأربعمائة فارس فأنتشب القتال بينهما فقتل قائد جيش يهوذا وجماعة من رجاله فتوجه إليهم يهوذا وكسرهم ويظن أن هيرودس قتل فى تلك المعركة. وإذ بلغ أفطر إنكسار قائديه ذهب بنفسه لمحاربتهم وأخذ ليشاوس ابن عمه معه وجيشا عظيما ولما قربوا خرج يهوذا للقايهم فى الليل وانتشب القتال بين الفريقين فكانت معركة قوية كان النصر بها ليهوذا. وفى اليوم الثانى بعد أن حدث قتال شديد أمر افطر أن يرفع القتال وكان عدد من قتل ثمانمائة رجل فطلب أفطر المصالحة فقبل يهوذا بعد أن عاهده أفطر بأنه لا يأتى إليه بحرب ثم رجع إلى بلاده ورجع يهوذا أيضا إلى أورشليم مكللا بالغلبة.

وبعد ذلك قام ديمتريوس سوتر بن سلفانوس من رومية وحارب أفطر فأنتصر عليه وقتله وقتل ابن عمه ليشاوس أيضا ونودى به ملكا لسورية. ثم سرح قائده نيكاتور إلى أورشليم وأمره بالقبض على يهوذا فأتى إليه بالخداع غير أنه اتفق معه أخيرا وإذ بلغ ديمتريوس ذلك كتب إلى نيكاتور مشددا بالقبض عليه وحينئذ جرت بينهما حرب فدارت الدائرة على نيكاتور فقتل وقتل ٥٠٠٠ من رجاله. وفى السنة الثانية أتى قائد من بلاد الروم اسمه نيكيروس بثلاثين ألف رجل لمحاربة يهوذا فقسم جيشه إلى قسمين وكان مع يهوذا ثمانمائة رجل ولما انتشب القتال انكسر نيكيروس فتتبعه يهوذا ولم يدر أن الفرقة الثانية كامنه له ولما وصل إلى قرب الكمين انتشب القتال أيضا فقتل من الفريقين جمع كثير وقتل يهوذا أيضا وذلك سنة ١٦١ ق. م فأخذه أخوته إلى قبر أبائه وولوا أخاه يوناثان عوضا عنه. ومضى ثوناثان بنفر قليل نحو الأردن فأتاه نيكيروس بعسكره ولما جن الليل خرج يوناثان بجيشه إلى معسكر نيكيروس وكسره وقبض على نيكيروس وإراد قتله فأقسم له أنه إذا عفا عنه يطلق جميع أسرى اليهود ولا يعود إلى محاربته فكان كذلك ثم مات يوناثان.

وتولى أخوه شمعون مكانه. ووجه ديمتريوس جيشا لمحاربته فخرج إليه شمعون وقسم جيشه فرقتين ولما قامت الحرب على قدم وساق أطبقت الفرقتان على جيش ديمتريوس وأهلكتاه ولم تبقيا منهم إلا نفرا قليلا ففروا هاربين.

أما شمعون فوثب عليه بعد ذلك صهره وقتله [(١)] وتولى الأمر بعده هر كانوس ابنه [(٢)] وفى ذلك الوقت إذ بلغ ديمتريوس سيداتس بن ديمتريوس سوتر الذى ملك بعد موت أبيه قتل شمعون قدم بجيوشه للأنتقام من اليهود لأن شمعون كان قد قتل قواد ديمتريوس فسار إلى أورشليم فى عسكر عظيم وبعد حروب عديدة إذ لم ينجح صالح اليهود وقدم هدايا للهيكل. وقد أقر لهر كانوس بالاستقلال فى سنة ١٣٠ ق. م ثم أن هر كانوس بعد أن أصلح من السور ما كان قد هدمه ديمتريوس المذكور ذهب معه لمحاربة العجم وانتصرا ثم ذهب ديمتريوس إلى بلاد الفرس فلم يتبعه هر كانوس لعدم جواز سفره فى السبت وبعد ذلك كان عيد العنصرة فتأخر عن اتباع ديمتريوس وإذ كان مصمما على المسير إليه بلغه خبر إنكساره فقفل راجعا وفى مسيره سار نحو السامرة وأخرب الهيكل الذى بناه سنبلط السامرى فى أيام إسكندر المكدونى وفتح غير ذلك فتوحات كثيرة كفتحة حلب والشام وبلاد ادوم وبلاد السمرة. ثم جدد العهد الذى كان بين اليهود وبين الشيخ والثلاثمائة والعشرين المدبرين معه الذين كانوا أصحاب رومية وهو أول من سمى ملكا من اليهود فى مدة الهيكل الثانى وتوفى وله من العمر ٢٩ سنة وكانت وفاته سنة

[(١)] واسم صهره تلماى قتله لأساب كانت بينهما وقبض على أمرأة المقتول وولديه فلما بلغ هر كانوس دلك فر من أمامه إلى غزة فتبعه تلماى وأراد قتله فلم يتمكن لأسعاف أهل غزة له. ثم سار تلماى إلى داجون ومعه أم هر كانوس وأخوته ولما انصرف عنه توجه هر كانوس إلى أورشليم وبعد أن أقيم واليا أجتمع بعسكر أبيه وطلب قتل تلماى فلما جد فى هدم سور داجون خاف تلماى فأصعد أم هر كانوس وأخوته على السور وتهدد هر كانوس بطرحهم إلى ألسفل إذا دام الحصار فرجع عنه وبعد رجوعه قتلهم تلماى وهرب إلى بلاد بعيدة.

[(٢)] سماه أبوه هر كانوس لأنه قتل جبارا بهذا الأسم وأسمه الحقيقى يوحانان.

١٠٩ ق. م وملك ابنه أرسطوبولوس مكانه. أما أرسطوبولوس فكان متكبرا متجبرا وقيد أخاه إسكندر ووالدته لأنها كانت تميل إليه ومال إلى انتغونوس أخيه وبعثه لمحاربة الأمم الذين عصوه فقهرهم وردهم إلى طاعته وعاد إلى القدس ظافرا ولما رجع قبل أن يمضى إلى دار الملك ذهب إلى الهيكل ليشكر أله الذى أعطاه الغلبة على أعدائه وإذ كان جميل الصورة والقامة ومتقلدا أسلحته وراه الناس تعجبوا من حسنه وجماله ورشاقته وكان له مبغضون وحساد كثيرون فتقدموا إلى الملك وقالوا له أن أخاك قد عمل على قتلك ولذلك لم يدخل إليك لما قدم بل ذهب إلى الهيكل وذلك ليستميل الناس إليه فأنخدع الملك وخاف وأمر رجاله أن يلبسوا أسلحتهم ويقتلوا كل من أراد الدخول إليه وعليه شيء من السلاح ووجه رسولا إلى أخيه بأمره بأن ينزع ما عليه من السلاح ويحضر إليه ولا يتأخر وكانت أمرأة أرسطو بولوس تكره انتغونوس وتروم قتله فأستدعت الرسول وأعطته أموالا وأمرته أن يعكس الرسالة أى أن يطلب اليه بأمر الملك أن يحضر بكل سلاحه لأن الملك يريد أن يرى حسن زيه فحضر على الفور ولما أراد الدخول قتله الخدام حسب أمر الملك أن يتقلوا كل من أراد الدخول اليه بالسلاح ثم بعد ذلك علم الملك أن قتل أخيه كان بخديعة فحزن عليه حزنا عظيما حتى أفضى به حزنه إلى الموت فمات سنة ١٠٤ ق. م وكانت مدة ملكه سنة واحدة وملك أخوه إسكندر جانيوس مكانه.

أما إسكندر فلما ملك بلنه أن أهل عكا وغزة عصوا عليه بعد موت أرسطوبولوس ذهب إلى عكا وحاصرها وأرسل أهل عكا يطلبون المعونة

من ليطرا ملك قبرص (وهو بطليموس لاثوروس) ابن كليوباتره ملكة مصر فحضر ولما بلغ اسكندر قدومه رجع عنها ثم ذهب لمحاربة صيدا ففتحها ورجع إلى أورشليم ظافرا. وبعد ذلك اتى ليطرا ابن كليوباتره إلى الأردن لمحاربة اسكندر فالتقاه هناك وثارت بينهما حرب عظيمة انكسر بها اسكندر ورجع إلى أورشليم مقهورا وبعد رجوع ليطرا إلى قبرس سار إسكندر إلى غزة ففتحها وقتل أهلها لأنهم عانوا ليطرا عليه وعاد إلى أورشليم.

وفى تلك السنة : إذ كان عيد المظال رمى أحد الفرنسيين ليمونة فأصابت الملك فقام أصحابه على الفرنسيين وبأمر الملك قتلوا منهم ومن قومهم ستة الآف رجل وهذه الحادثة كانت بداية الخلاف بين الصدوقيين والفرنسيين واتصلت الحروب بينهم أياما كثيرة قتل فيها من الفرنسيين وقومهم خمسون ألف رجل. وذهب جماعة من الفرنسيين إلى ديمتريوس يوساريوس بن انتيوخوس الثامن وطلبوا منه المعونة فأتى برجاله لمحارة إسكندر فكسره وهرب إسكندر إلى الجبال ثم انضم إلى جيشه كثيرون من رجال ديمتريوس وبعد أن جمع جيشا عظيما أتى إلى ديمتريوس وكسره فالتزم أن يرجع إلى بلاده ثم أنتصر إسكندر على الفرنسيين وقتل كثيرين منهم وكانت مدة غربته فى الحروب ثلاث سنين. ثم رجع إلى أورشليم بعد أن ظفر بأكثر أعدائه.

وسنة ٧٧ ق. م مات أسكندر بينما كان يحاصر احدى المدن واختفت امرأته موته إلى أن فتحت المدينة ورجعت إلى أورشليم واقميت والدته الملكة إسكندرة مكانه وكانت مدة ملكه ٢٧ سنة.

وفى مدة ملك إسكندره كانت قلاقل كثيرة فى أورشليم بين الصدوقيين والفرنسيين فأخرجت الصدوقيين من المدينة لحفظ الراحة وملكت تسع سنين وتوفيت سنة ٦٩ ق. م ولها من العمر ٧٣ سنة.

وقبل أن ماتت وهى فى شدة المرض خرج ابنها أرسطوبولوس من أورشليم متحزيا للصدوقيين كما تحزب أخوه هر كانوس للفرنسيين وانهزم هر كانوس إلى أورشليم فتبعه أرسطوبولوس وحدثت بينهما حرب عظيمة فخرج شيوخ أورشليم وصالحوهما بتسليم الكهنوت لهر كانوس والسياسة لأرسطوبولوس فصار ملكا فى أورشليم وأخمدت الفتن إلى أن دخل رجل أسمه انتيبطرس وهو عسقلانى الجنس دخل أجداده بين الاسرائيليين حينما سبوا إلى بابل فأفسد بينهما وقال لهر كانوس أن أخاك يريد قتلك فالزمه بالالتجاء إلى هريمة ارتياش ملك العرب الذى كان خاطبه انتيبطرس أولا كما أنه خاطب كثيرين من اليهود فخدع هر كانوس وأخذه إلى هريمة فأكرمه غاية الاكرام ثم أن انتيبطرس اغرى ملك العرب وهر كانوس على أن ينهضا لمحاربة أرسطوبولوس فقاما بجيش عظيم ولما وصلا إلى أورشليم انضم إليها عدد كثير فلما رأى أرسطوبولوس كثيرة جيوشهما قفل راجعا بدون حرب ودخل المدينة فتبعه هركانوس وهريمة وانتشب القتال بين الفريقين وحدثت معركة عظيمة الجأت كثيرين من محبى السلم إلى الهرب والانتقال إلى مصر. وحاصر أرسطوبولوس مع الكهنة والشعب الذى معه فى الهيكل وذلك سنة ٦٥ ق. م

وإذ كان عيد الفطير طلبوا من هر كانوس بقرا وغنما ليقدموا ذبائح

فقيل أن يعطيهم بشرط أن يدفعوا عن كل رأس ألف دينار فارتضى أرسطوبولوس بذلك وجمع مالا ودفعه لهم لكنهم بعد أن أخذوا المال نكثوا بذلك الوعد ولم يقدموا الثيران وسنة ٦٤ ق. م إذ كان بمبيوس [١] صاحب جيش الروم خارجا لمحاربة سكان دمشق وحمص وحلب وما يليها من البلاد السورية وكان قد أرسل القائد شكاروس إلى دمشق فبلغ أرسطوبولوس ذلك فوجه إليه رسلا يطلبون إليه أن يساعده على محاربة أخيه ووجه إليه هر كانوس رسلا فامتنع عن إجابة طلبهما ولكنه أرسل وطلب إلى هريمة أن يرجع إلى بلاده وتهدده بالحرب إذا لم يرجع فرجع على الفور ورجع معه هر كانوس وانتيبطرس. وإذ أتى افيفوس أحد قواد الروم إلى دمشق طلب أرسطوبولوس منه المساعدة وقدم له هدايا ثمينة وهر كانوس أيضا وجه إليه انتيبطرس. ومع أنه كان عازما على مساعدة أرسطوبولوس أغراه انتيبطرس وهكذا عزم على مساعدة هر كانوس فلما حضر بمبيوس إلى دمشق وكان بلغه كل ما جرى كتب إلى أرسطوبولوس يأمره باحضور اليه فحضر وحضر هر كانوس وانتيبطرس أيضا فاجتمع بكليهما وإذ رأى ما رأى من هيبة رجال أرسطوبولوس رغب فى الاستيلاء على اليهودية ولذلك وعد أرسطوبولوس وهر كانوس انه متى أتى أورشليم يلا فى الأمر. وفى ذلك الحين ذهب انتيبطرس إلى كل الأماكن التى استولى عليها أرسطوبولوس وأمر أهاليها أن يتذمروا من

---

[١] وهو رفيق يوليوس قيصر من مشاهير القواد الرومانيين وقد افتتح خمس عشرة مملكة واخذ ثمان منة مدينة وبعد غلباته العظيمة سوّلت له نفسه الانفراد فى الملك فجمع جيشا لمحاربة قيصر لكنه لم يتم له ذلك إذ قتله بعض جنوده ولما بلغ قيصر ذلك حزن عليه وعاقب قاتليه.

حكمه الظالم أمام بمبيوس. وإذ جرى ذلك وتحزب كثيرون ضد أرسطوبولوس فر حينئذ من عند بمبيوس إلى أورشليم وذلك فى سنة ٦٣ ق. م فتبعه بمبيوس إليها فخرج أرسطوبولوس معتذرا إليه فصفح له بشرط أن يعطيه كل ما يوجد فى الهيكل من الآنية فقبل بذلك ووجه بمبيوس رجالا ليقبضوا على ما فيه فمنعهم الكهنة وأخرجوهم من المدينة وقتلوا بعضهم وإذ بلغ بمبيوس ذلك غضب وقيد أرسطوبولوس وأرسل قومه لأهلاك المدينة فحاربه اليهود وقتلوا كثيرين من رجاله وغلقوا أبواب المدينة وفى تلك المدة حدثت وقائع كثيرة بين أصحاب أرسطوبولوس وأصحاب هر كانوس وإذ بلغ بمبيوس ذلك تقدم نحو المدينة وجار بها ففتح له بعض اليهود بابا فدخلها وأراد أن يدخل الهيكل فلم يقدر وحدثت حرب مهولة ولما ملت رجال بمبيوس من الحرب أمر أن تنصب الكباش على أسوار الهيكل فنصبت وأنهدم برج واحد من السور فدخل الروم وقتلوا جما غفيرا وقتلوا الكهنة إذ كانوا يقدمون القرابين ونهبوا الهيكل ، وفى هذه السنة جعل اليهود يؤدون الخراج للسلطنة الرومانية.

ولما دخل بمبيوس الهيكل أعجبه حسن منظره وبنائه فأمر بتنظيفه وبدفن القتلى وتقديم القرابين وملّك انتيبطرس الأدومى وهر كانوس مع قائده شكاروس على اليهود ثم رجع إلى رومية ومعه أرسطوبولوس وأثنان من أولاده مقيدون.

وكان لأرسطوبولوس ولد ثالث اسمه إسكندر لم يأخذه بمبيوس معه إلى رومية لأنه كان مختبئا فلما رجع بمبيوس ذهب هر كانوس وانتيبطرس

وشكاروس لمحاربة العرب ليدخلوهم فى طاعة الروم ولما خرجوا من المدينة دخل إسكندر بن أرسطوبولوس أورشليم فتلقاه أهلها بفرح وملكوه عليهم فأصلح ما كان هدمه بمبيوس من السور.

ولما عاد هر كانوس ومن معه خرج إليهم إسكندر وحاربهم فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا.

وفى ذلك الحين أتى سورية قائد من رومية يسمى كينانوس فلما بلغه فعل اسكندر بن أرسطوبولوس صعد إلى أورشليم لمحاربته وأنظم إليه هر كانوس واتباعه فخرج إليهم من أورشليم وانتشبت بين الفريقين حرب دارت الدائرة فيها على إسكندر فأنهزم إلى حصن يسمى إسكندرونة فحضر كينانوس إليه وضيق عليه فخرج مستامنا فأمنه.

وسنة ٥٦ ق. م هرب أرسطوبولوس مع أحد أولاده من رومية وأتى إلى أورشليم فتبعه جمع كثير ولما بلغ كينانوس ذلك زحف إليه وحاربه وأنتصر عليه وأسره وأرجعه إلى رومية.

وسنة ٥٣ ق. م إذ كان ولى الرومان كراسوس على ولاية سورية عوضا عن غابينوس أتى كرسوس المذكور إلى أورشليم وأخذ أموالا من الهيكل.

وفى غضون ذلك إذ بلغ كينانوس أن أهل مصر أمتنعوا عن تأدية الخراج إلى الروم إليهم من أورشليم ومعه انتيبطرس فحاربهم وبعد أن أخضعهم رجع إلى أورشليم وجدد الملك لهر كانوس ورقى انتيبطرس ورجع إلى رومية.

وفى تلك المدة عصى الفرس على الروم فوجهوا إليهم القائد كرسوس فسار من رومية بعسكر عظيم ومر بأورشليم وأخذ من الهيكل كل ما وجد فيه من الذهب الكثير.

وبعد ذلك قدم كسيلو القائد الرومانى لأنه كان قد بلغ رومية أنه قد تشتت شمل جنود كرسوس فمر بأورشليم ورأى اليهود يحاربون هر كانوس وانتيبطرس فأنتصر لهما وسار فى طريقه بعد أن أخضع العصاة على الروم فى سورية.

وسنة ٤٩ ق. م إذ كان قد تغلب قيصر على الشنج والثلاثمائة والعشرين الذين كانوا حكام رومية وكان قد بلغه أن بمبيوس قد جمع جيوشا لمحاربته اطلق أرسطوبولوس من السجن وأعطاه قائدين وأثنى عشر ألف مقاتل ليأتى بلاد الشام ويردع الذين كانوا قد عصوه وإذ بلغ بمبيوس ذلك كتب لانتيبطرس بأن يحتال على أهلاك أرسطوبولوس فلّبى طلبه وارسل قوما ليلاقوه وأعطاهم سمّا ليهلكوه به فلما وصلوا إليه أكرمهم غاية الإكرام وعندما سنحت لهم الفرصة سقوه السم فمات.

وفى هذه السنة : ولى يوليوس قيصر انتيبطرس على اليهودية.

وسنة ٤٧ ق. م إذ أتى قيصر سورية ثبت هر كانوس فى وظيفة الحبرية والملكية وبسبب توانيه تمكن انتيبطرس من إقامة ابنه فزائيل واليا لأورشليم.

وسنة ٤٥ ق. م كتب هر كانوس إلى قيصر يطلب إليه تجديد العهد الذى كان بين اليهود وبين الروم قبل تملك قيصر فأجاب طلبه وأكرم رسله.

وبعد ذلك عزل انتيبطرس بأمر الدولة الرومانية وملك ابنه هيرودس الكبير مكانه.

ثم مات انتيبطرس مسموما برأى اليهود لأنه كان رديّا مبغوضا من كثيرين أما قاتله فهو ملكيا الذى انتقم منه هيرودس وقتله بحيلة.

وسنة ٤٠ ق. م ذهب انتيغونوس بن أرسطوبولوس مع جماعة من اليهود إلى ملك العجم وطلب إليه أن يعضده على أخذ الملك من عمه هر كانوس وتعهد له بدفع مبالغ وهدايا ثمينة فأجاب طلبه وسار بعساكره الجرارة إلى سورية ففتح مدنا كثيرة وقتل ولاتها الذين كانوا من قبل الدولة الرومانية ووجه بقائد من قواده وبجيش كثير العدد والعدد مع انتيغونوس إلى أورشليم وتظاهر ذلك القائد بالخداع وبأنه آت بانتيغونوس للهيكل فقط ولما توسطوا المدينة شرعوا فى القتل والنهب فلما رأى هيرودوس الكبير ابن انتيبطرس ذلك ذهب إلى قصر الملك هر كانوس وضبطه وفيلو أخوه أيضا ضبط الحسن ومنع الأعجام عن الخروج فأهلكوا منهم قوما كثيرا ولما لم ينجح قائد الأعجام أخذ يعتذر لهم قائلا أن ذلك كان بدون إرادته وأنه يريد تثبيت المودة بين العجم واليهود فلم يركن هيرودوس إليه وأما هر كانوس وفيلو فأنخدعا بمقاله وخرجا إليه فأكرمهما وأرتحل من أورشليم وأخذهما معه ولما سار إلى بلاد الشام قبض عليهما وقتل فيلو نفسه أما انتيغونوس فقطع إذن هر كانوس لكى لا يصلح أن يكون كاهنا فيما بعد. ثم وجه ملك الفرسى انتيغونوس ليملكه فى أورشليم.

فلما بلغ هيرودس موت أخيه وقطع أذن هر كانوس فرّ بعياله إلى جبال الشراه [1] ووضعهم عند أخيه يوسف وسار متوجها إلى رومية فمر فى مصر وذهب إلى كليوباترا الملكة فأكرمته بالهدايا وأعطته سفنا ورجالا لتكون بخدمته وذهب فى طريقه إلى رومية ونزل عند صديقه انطونيوس صاحب جيش قيصر فأكرمه غاية الأكرام ثم مثل بين يدى أوغسطوس قيصر ولما اطلعه على كل الحوادث التى جرت له وكيف أن ملك العجم ملّك انتيغونوس اتفق قيصر وانطونيوس والشيوخ فى رومية على تمليك هيرودس على اليهودية وكان ذلك سنة ٤٠ ق. م فتوّجع قيصر وأمر بأن يضرب أمامه بالأبواق وينادى بأن أوغسطوس قد ملّك هيرودس على اليهودية وعلى أورشليم.

[1] وهى بلاد الكرك والبلقاء والشوبك.

الفصل التاسع

حالة أورشليم في مدة تسلط هيرودس الكبير عليها

عند ذلك سار انطونيوس الرومانى بعسكر عظيم لمحاربة العجم وأما هيرودس فسار بعساكره إلى أورشليم وتقدم لمحاربة انتيغونوس بن أرسطوبولوس وإذ بلغ انتيغونوس ذلك ذهب إلى جبال الشراه ليقبض على عيال هيرودس فحاصرت حصارا عظيما وإذ فرغ الماء من عندهم وصمم بعضهم على الهرب والبعض على التسليم أمطرت السماء فاكفتهم ماء وعند ذلك تشددت قلوب المحصورين وداوموا الحصار. فلما بلغ هيرودس أن انتيغونوس يحاصر عياله ورجاله سار إليهم وجرت بينهما معركة شديدة وإذ كان قد خرج يوسف من محل الحصار لمحاربتهم وكان أخوه هيرودس يحاربهم من خارج أطبقا على انتيغونوس فأهلكا من جيشه خلقا كثيرا فقفل راجعا إلى أورشليم ودخل المدينة وتحصن فيها وحدثت بينهما حرب طويلة لم يفز أحد فيها بالغلبة ولم يزالا كذلك إلى أن رجع انطونيوس من العجم ظافرا منصورا فانه حالما بلغ هيرودس رجوعه إلى الفرات وافاه إلى هناك واعلمه بواقعة الحال وطلب منه الإسعاف فأرسل معه فرقة تحت قيادة سيساوس القائد وذهب كلّ فى طريقه ولما وصل هيرودس إلى دمشق بلغه أن قوقاس صاحب جيش انتيغونوس يحارب أخاه يوسف الذى قتل فى تلك المعارك فخلف سيساوس فى دمشق وزحف

باثنى عشر ألف جندى إلى انتيغونوس وقوقاس فلقيهما فى جبل الجليل فجرت بينهما حرب انهزم بها انتيغونوس ودخل أورشليم وانحصر فيها.أما قوقاس فكان شجاعا جبارا من الأبطال الأشدّاء فلبث بعساكره ثابتا إلى أن قتل هو وأكثر رجاله ثم أن هيرودس بعد هذه النصرة وافى سيساوس بعد أن كان قد تركه فى دمشق وزحف لحصار أورشليم وجرت بينهما وبين الاورشليميين حروب كثيرة. وفى أحدى الليالى إذ نام بعض الحراس وعلم قوم من أصحاب هيرودس صعدت زمرة منهم على السلالم وقتلت الحراس ثم فتحوا الأبواب ودخلت الجيوش وابتدأوا فى النهب والقتل فقتلت أكثر أهل المدينة وذلك بأمر سيساوس فلما بلغ هيرودس ذلك عظم الأمر عليه وقال لسيساوس ما هذا الأمر فانه قد قتل أكثر شعبى فعلى من أملك بعد ذلك وحينئذ أمر سيساوس فكف القتل وذك سنة ٣٧ ق. م.

ولما فتحت المدينة طلبوا انتيغونوس وإذ وجدوه أخذه سيساوس مقيدا قيل بطلب هيرودس الذى رشى بمال كثير ليامن من غوايله وقتل أيضا كل من كان ينازعه ولما خضعت له اليهودية بأسرها عاد وغزا جميع الأمم الذين كانوا قد عصوا ملوك اليهود وطلب هر كانوس من ملك العجم بزعمه انه يريد إكرامه وقدم لملك العجم هدية عظيمة فأرسله إليه ولما وصل أكرمه غاية الإكرام ولكنه كان مضمرا له الشر ولما عرفت امرأة هيرودس وابنه ما كان قد نواه من قتل هذا الشيخ التقى أخبراه وكذلك كثيرون من وجوه اليهود.

وعند ما تأكد هر كانوس منهم ذلك كتب إلى ملك العرب أن

يرسل إليه من يأخذه إلى بلاده سرّا وأرسل التحرير مع رجل كان شديد البغضة لهيرودس لأنه كان قد قتل أخاه وسلب ماله فلذلك اركن هر كانوس إليه فلما أخذ التحرير بعد أن عاهد هر كانوس بأن لا يسلمه إلّا إلى ملك العرب أخذه على الفور وسلمه إلى هيرودس فكانت هذه الحادثة مسعفة له على تنفيذ غايته فقتله فى ذلك الحين وله من العمر ثمانون سنة. وكان شيخا جليلا عاقلا تقيا حسن السيرة وهو أخر من ملك على اليهود من الكهنة ومدة ملكه أربعون سنة.

وفى ذلك الوقت اتسعت البلاد أمام هيرودس ولم يعد له مناظر ولا عدو لأن الجميع أطاعوا لسلطته وكانت امرأته مريم ابنة أرسطوبولوس أخى هر كانوس وأخوها أرسطوبولوس (بأسم والده) من أحسن الناس منظرا وكان هيرودس يحب امرأته محبة شديدة لفرط حسنها وجمالها أما هى فكانت تكرهه لأنه كان سفاكا للدماء ولأنه قتل جدها هر كانوس وكذلك أمها إسكندرة التى كانت تحب أن يكون ابنها أرسطوبولوس كاهنا أعظم عوضا عن هر كانوس جده أما هيرودس فلم يحب ذلك خوفا من اجتذاب قلوب الشعب إليه لمحبتهم لهر كانوس حده ولا هليته. أما إسكندرة والدته فإذا كان بينها وبين كليوباترة ملكة مصر محبة طلبت إليها كتابة أن تطلب من زوجها أنطونيوس أن يأمر هيرودس بأن يقدم أبنها أرسطوبولوس أن يأمر هيرودس بأن يقدم أبنها أرسطوبولوس كاهنا عظيما فكان كما طلبت ولكن لم يأت ذلك بنتيجة لأن هيرودس أجاب رسول انطونيوس أنه ضد شريعة اليهود أن يعزل كاهنا مع أنه كان أقام كاهنا عظيما من لفيف الكهنة أما رسول أنطونيوس فلما رأى حسن

وجمال منظر أرسطوبولوس طلب أن يأخذ صورته وأعدا والدته أنه متى رأها أنطونيوس لا بد من تنفيذ كطلوبها فأخذ صورته وذهب راجعا إلى مصر ولما شاهدها أنطونيوس رغب أن يراها فطلب بلجاجة إلى هيرودس أن يرسله إليه بدون تأخر فلما بلغ هيرودس ذلك خاف من النهاية وحينئذ أقامه رئيس كهنة وأجاب أنطونيوس أننى اطاعة لأمرك أجبرت اليهود على قبول عزل الكاهن السابق ووضع أرسطوبولوس مكانه والآن لا يجوز أرساله إليك لأنه كاهن فيجب عليه ممارسة وظيفته التى لا تسمح له بالخروج من أورشليم لأنه ليس كالملوك يمكنه الذهاب حيثما أراد وإذا الزمته بالذهاب إليك وبما يهيج اليهود دفنته فلما بلغ أنطونيوس ذلك عن طلبه أما إسكندرة وابنتها مريم أمرأة هيرودس فكان بغضهما لهيرودوس يشتد يوميا وكتبنت إسكندرة إلى كليوباترة تطلب المساعدة عليه فأجابتها قائلة أحضرى بحيلة إلى يافا فأننى أرسلت لك قوما وسفنا ليأتوا بك إلىّ فصنعت إسكندرة تابوتين ودخلت فى الواحد ودخل ولدها أرسطوبولوس فى الآخر فلما بلغ هيرودس خبرهما أحضرهما من حيث وصلا وكانت بغضته لهما تشتد أكثر فأكثر. أما أرسطوبولوس فكانت تميل إليه الناس كثيرا فأبتدأ هيرودس يدبر حيلة يهلكه بها وفى ذات يوم إذ كان عيد المظال خرج الملك وحشمه إلى أريحا وبعد أن تناولوا الطعام خرج الغلمان إلى الماء يستحموا فإذا بلغ هيرودس ذلك قال لغلمانه استدعوا أرسطوبولوس ومتى نزل فى الماء غرّقوه فكان كما أمر وأخرجوه من الماء ميتا فلما رأه الناس أشتد غمهم عليه وندم هيرودس على قتله وبكى عليه بكاء مفرطا لما رأه ميتا وأمر بدفنه بالإكرام وكان ذلك سنة ٣٤ ق. م.

وبعد هذه الحوادث بمدة ذهب هيرودس من أورشليم إلى مصر بطلب أنطونيوس ليسعفه على محاربة قيصر غير أنه أمره بالرجوع ليحفظ البلاد من الأعداء الذين وراءهم وليحارب العرب أيضا فرجع ووجهت معه كليوباتره قائدا بجيوشه وقالت له أنه يعينك فى القتال وكانت قد قالت للقائد سرا أن يحتال على هيرودس ويقتله لأنها كانت تكره عيرودس لأسباب منها أنها كانت تحب أن تستولى على مملكته وإكراما لإسكندرة. وفى سنة ٣١ ق. م طلب هيرودس أن يصالح ملك العرب فلم يقبل فجمع حينئذ هيرودس جيشا عظيما وأتى إلى ملك العرب وحاصره وشدد الحصار عليه فلما نفذ الماء من عنده طلب المصالحة فرفض هيرودس القبول فعند ذلك عزم ملك العرب على خرق صفوف الأعداء برجاله لئلا يموتوا عطشا ولكن لم يجدهم ذلك نفعا إذ هلك منهم خلق كثير وخربت ديارهم فتذلل العرب لهيرودس وطلبوا منه الأمان فأمنهم وضرب عليهم جزية سنويا ورجع إلى أورشليم ظافرا.

وسنة ٣١ ق. م حدثت زلزلة مهولة فى اليهودية قتل بها عشرون ألف نفس تحت الردم وعدد كثير من المواشى.

أما انطونيوس فبعد أن أمر هيرودس بأن يرجع من مصر ليحارب العرب ذهب هو إلى رومية لمحاربة أوغسطس قيصر وكان قيصر قد أنتصر عليه وقتله وأتى بجيوشه إلى مصر لمحاربة كليوبتره أمرأة أنطونيوس فأستولى على بلادها ولما بلغ هيرودس قدوم قيصر إلى مصر خاف جدا وأرسل نساءه إلى قلعة جبال الشراه وتوجه هو بهدايا كثيرة إلى قيصر الذى كان قد عزم على قتله لما بلغه من اتفاقه مع انطونيوس عدوه فلما

وصل هيرودس إلى أمامه أمر أن ينزع التاج عن راسه فتقدم هيرودس وتكلم بفصاحة مقررا بما راق فى عينى قيصر فأمر بارجاع التاج إليه وأمره بالرجوع إلى أورشليم وذلك سنة ٣٠ ق. م. وبعد رجوع هيرودس أخبرته أخته عن مريم أمرأته أخبارا ردية فلم يسمع لها لما كان يعرف ما عندها من البغض لها وكانت تكثر من الطعن فيها إلى أن أمر بقتل أمرأته سنة ٣٨ ق. م وقتل أيضا زوج أخته وزوّجها لرجل من الأدوميين وولاه بلاد أدوم وكان قوم من أولاد الملوك المكابين مختبئين هناك فستر زوج أخته المسمى كرسوس أمرهم وبعد حين طلبت أخت هيرودس الطلاق من زوجها فحصلت على مرغوبها وحينئذ أخبرت أخاها عن أولاد المكابيين المختبئين هناك فأمر بأحضارهم وقتلهم عن أخرهم وقتل كرسوس صهره أيضا وقد مقته كثيرون لرداءة سياسته وحبه لسفك الدم ولكنهم لم يجسروا أن يجاهروا بذلك ولما علم هيرودس بهذا الأمر قتل كل من كان يظن أنه عدوّ له.

وسنة ١٩ ق. م إذ كان قد أطاعه الجميع ولم يعد له منازع ولا مداع رغب فى أن يرمم الهيكل ويبنيه كبناء سليمان فهدمه وبناه ثانية. وكان قد أرسل ولديه إلى رومية ليتعلما اللغة اليونانية فلما عرفا ما جرى لأمهما غضبا ولما رجعا لم يكرما أباهما كالواجب لما حصل عندهما من البغض له بسبب قتله إياها فلما رأى منهما ذلك نفر هو أيضا منهما.

وكان له أمرأة قبل مريم أسمهما رسيس وكان لها ابن منه يسمى انتيبطرس وكان هيرودس قد أبعدها مع ابنها لشدة محبته لمريم امرأته فلما قتلها ارجع رسيس وأبنها وقرب انتيبطرس غليه وجعله ولى عهده من

بعده فخاف انتيبطرس أن ينازعه أخواه فى الملك بعد موت أبيه لأن أمهما كانت بنت أحد إجلاء الكهنة وأشراف الملوك وكانت رسيس من عامة اليهود وإذ كان يريد انتيبطرس أن يستريح من أخويه فى حياة أبيه عزم على اختراع طريقة هلاكهما وفى ذات يوم قال لأبيه أن إسكندر وأرسطوبولوس يقولان أنهما أحق منى فى الملك وهما يعاديانك ويريدان قتلك لأنك قتلت أمهما وقدمتنى عليهما ولم يزل يكرر هذا القول عليه إلى أن أثر فيه تأثيرا عظيما وحول التفاته عنهما.

وسنة ١١ ق. م سار هيرودس على رومية وأخذ معه إسكندر ابنه ولما مثلا بين يدى أوغسطوس شكاه إليه وقال له أنه يعادينى بسبب أمه ويريد قتلى فقال له اوغسطس لما أحوجت أباك لأن يشكوك فقال إسكندر أيها الملك أننى لا أقدر أن أنكر حزنى على التى قتلت بريئة فأن الحيوانات تحن إلى أمهاتها وتحبها وتألفها وتحزن عليها وما أنا براض أن أكون محروما من الوالدين لكن أخى انتيبطرس يتفوه بذلك ليغضب أبى علىّ وعلى أخى ليقتلنا ويأخذ الملك له وكان إسكندر يتكلم ويبكى على فقد أمه فرق قلب أوغسطس وأمره أن يقبل رجل والده وكذلك والده قبله وأمره قيصر أن لا يقبل قول من يطعن بهما. ثم أن قيصر أكرم هيرودس بهدايا ثمينة فأقام فى رومية أياما وعاد إلى أورشليم وأستحضر بنيه الثلاثة مع شيوخ اليهود وقال لهم أن الله قد وسع مملكتى وكبرها وقد رأيت أن أقسمها على أولادى الثلاثة بحيث لا يكون لواحد منهم على الآخر أمر ولا معارضة فى شىء. فلم يجد ذلك نفعا لأن انتيبطرس أراد أن يكون مستقلا بالملك وكذلك إسكندر وأرسطوبولوس كانا

يظنان بأنه ليس لأنتيبطرس حقّ مثلهما أما هو فكان على جانب من الخبث فأقام عليهما رقباء بالأتفاق مع عمه فيروراس الذى كان يكرههما بسبب أمهما مريم وكانوا يخبرونه بكل شيء عنهما ولم يزل يستقصى أحوالهما ويوجه الوشاة إلى والده إلى أن جعل أباه هيرودس يبغضهما فأمر بتقييدهما. وقد بلغ ذلك أرخلاوس ملك كبدوكية وهو حمو اسكندر جاء إلى أورشليم قاصدا تخليص صهره وكان رجلا حكيما فاصلا فلما أجتمع بهيرودس تكلف أمامه السخط على إسكندر وهكذا كان يجتمع بهيرودس كثيرا إلى أن صار من أعز أصدقائه وفى ذات يوم بلّغة أمرا بنيه وبيّن له أن أتها به غير صحيح وأن الواشى بهما فيروراس أخو هيرودس فبعد أن اتضحت الحقيقة باجلى بيان صفح هيرودس الملك عن والديه وأخيه وأطلقهما وهو بغاية السرور من الملك أرخلاوس وعندما أراد الرجوع أكرمه هيرودس بهبات كثيرة وأمر قواده وأصحابه بأن يتحفوه بالهدايا والعطايا الثمينة ثم شيعة إلى بعد وعاد إلى أورشليم.

فلما رأى انتيبطرس أن أعماله وتدابيره ذهبت سدّى رجع إلى تدبير حيلة لقتل أخويه فدعا رجلا من خواص أعوان هيرودس واعطاه أموالا كثيرة وطلب إليه أن يهلكهما بحيلة بواسطة إقناع الملك بأنهما يريدان قتله ولم يزل على هذا الجهد إلى أن غيّر قلب هيرودس على ابنيه فسخط عليهما وأمر بأن يقيدا ولما مضى على إحدى القرى أخذهما مقيدين معه فرق من كان معه ولكنه لم يجسر أحد أن يتكلم فى شأنهما غير أنه كان فى العسكر شيخ من القواد وله ولد صديق لإسكندر فلما رأى الشيخ سوء حال إسكندر وأخيه ساءه ذلك جدا وصاح فى المعسكر قائلا قد

ذهب الإشفاق وقلت الرحمة وبطل الحق وتغيب العدل وعدم الانصاف من العالم. ثم قال لهيرودس يا من يبغض أحباءه ويحب مبغضيه كيف غاب عنك الصواب مع معرفتك وفضلك حتى أصغيت إلى أعدائك الذين يحملونك على قتل أولادك وهدم أركانك ويريدون أن تبقى وحيدا فيقصدون هلاكك. فبادر أعداء إسكندر وأرسطوبولوس إلى الملك وقالوا له أن هذا الشيخ لم يتكلم بهذا الكلام من حبه للملك ولبنيه ولكنه قد أظهر ما فى قلبه من البغض لك فأمر حينئذ الملك بقتل أرجل وبحمل ولديه اسكندر وأرسطوبولوس إلى بيروت وقتلهما هناك وصلبهما وكان ذلك سنة ٥ قبل ميلاد المسيح وخلف أرسطوبولوس ثلاثة أولاد منهم أغريباس وهو الذى ملك بعد بيلاطس البنطى الرومانى.

وفى هذه السنة أى السنة الخامسة قبل التاريخ المسيحى ظهر ملاك الرب لزكريا الكاهن وأخبره بولادة يوحنا المعمدان كما سيذكر.

ولما قتل إسكندر وأرسطوبولوس فرح انتيبطرس أخوهما ولكنه لم يكتف بذلك بل أراد قتل أولادهما أيضا أما هيرودوس فلما استفاق من حماقته وعرف براءة ولديه حزن عليهما حزنا عظيما وعزم على احتضان أولادها فقال لفيروراس أخيه قد رأيت أن أتزوج ابنتك لتركان بن إسكندر وتضمه إليك وقال أيضا لانتيبطرس يا ابنى أريد أن أتزوج ابنتك لابن أخيك أرسطوبولوس فلم يمكنهما رفض أمره فأجابا بالقبول ثم ذهب انتيبطرس إلى فيروراس عمه وحمل إليه أموالا كثيرة وطلب إليه أن يحتال فى إبطال ما عقده هيرودس من الزيجة بينه وبين تركان ابن إسكندر ففعل فيروراس ذلك ولم يزل إلى أن فسخ الزيجة وأبطلها. وفى

تلك المدة وجه هيرودس ابنه انتيبطرس إلى رومية ليسلم على قيصر ويجدد معه عهدا فبعد مسيره بلغ هيرودس أن فيروراس أخاه عازما على اهلاكه فتأثر من ذلك وإذ لم يتحقق هذا الأمر ابعده وأمره أن يلزم بيته ثم مرض فيروراس ولما أشرف على الموت كتب إلى أخيه الملك أن يسير إليه ليراه قبل موته فسار إليه ولما راه على تلك الحالة بكى ووعده بمعاملة بنيه بالحسنى وبعد أن انصرف هيرودس مات فيروراس فأمر الملك بأن يدفن بأحتفال وأراد الملك أن يتحقق أمر أخيه فقبض على خدامه وجواريه وشدد عليهم فأقرت إحدى الجوارى بأن فيروراس وانتيبطرس كانا يجتمعان عند رسيس أم انتيبطرس حينما ينصرفان من مجلس الملك وقالت قد سمعت انتيبطرس يقول لفيروراس أن هذا الملك كالسبع الردى لا يرحم أحدا لأنه قتل امرأته وأولاده وأقاربه فيجب أن نبتعد عنه لئلا يفترسنا كغيرنا وعندما نتمكن من فرصة مناسبة ندبر على هلاكه وقتله ومع أنه وعدنى بأن يسلمنى الملك بعده فأنه كما تراه كالشاب القوى وأنا قد شبت ولا أدرى من يموت منا قبل الآخر وبنو بنيه المقتولين قد كبروا وهاهو يقربهم إليه وأنا أنه لا ينوى لى خيرا لأنه يبغض ويمقت كل أقاربه ومع أنك أنت أخوه فأنه قد مقتك وأبعدك عنه ولم يراع خدمتك له وقد أمرنى بأن أهجرك ولا أكلمك.

فقال له فيروراس لقد أصبت فالأولى ان ندبر طريقة نهلكه بها قبل أن يتمكن من أهلاكنا. ثم قالت الجارية بأنهما أتفقا على أن يذهب انتيبطرس إلى رومية ويقيم فيروراس مع الملك فيحتال عليه حتى يقتله ثم يعود انتيبطرس فيملك. فتأكد هيرودس كلام الجارية لأنه كان قد أمر

انتيبطرس بأن لا يقول لعمه أنه وعد بالملك وكان ذلك سرا فحينئذ اطلق الجارية وقبض على خادم انتيبطرس وشدد عليه فأقر بأن سيده انتيبطرس استحضر سما من مصر ودفعة لفيروراس وقال له متى مضيت أنا على رومية أحتل على الملك وأقتله به فأخذ فيروراس السم واعطاه لأمراته.

فعند ذلك أمر الملك أمرأة أخيه باحضار ذلك السم فخافت وأخذت السم وطرحت ذاتها من مكان عال لتموت فلم تمت فأحضرت إلى هيرودس فأمرها أن تصدقه الخبر وتهددها بسوء العقاب ان لم تتكلم الصدق فقالت أيها الملك أن زوجى استدعانى فى اليوم الذى مات فيه بعد ذهابك غليه ورجوعك وقال لى قد رأيت ما تفضل به أخى علىّ من محبيئه وبكائه لما رآنى فى حالة التلف وما وعدنى به من الجميل لمن اخلفه بعدى وقد كان ذلك الظالك انتيبطرس قد خدعنى وكان يقوينى فحملنى على العزم على قتل أخى وأعطانى سما قاتلا لآقتله به وقد كدت أفعل ذلك والآن أسرعى وأتينى بالسم الذى أعطانى إياه انتيبطرس الباغى واسكبيه أمامى لئلا يظفر به انتيبطرس من بعدى فيقتل أخى. ففعلت كما أمرت وإبقيت من ذلك قليلا لاريه لسيدى الملك إذا سألنى عنه ثم أخرجت السم فأمر هيرودس بحفظه وارسل أمرأة أخيه إلى منزلها وكتب على انتيبطرس يأمره بالحضور من رومية بدون تأخر فحضر ومعه رسول من قيصر فلما وصل إلى مدينة قيصرية بلغه موت عمه وسخط أبيه على أمه رسيس فخاف أن يكون أبوه قد أطلع على دسائسه ولم يجسر أن يتقدم وعزم على الفرار فمنعه من كان معه من خدام هيرودس وغلمانه خوفا من الملك ولأنهم أرادوا أن يرجعوا إلى أهلهم ومنازلهم ثم

قالوا لا نتيبطرس أن هربت تثبيت التهمات التى وقعت عليك فتمسى لا تقدر أن تنجو من يد أبيك فأنه يطلبك حيثما توجهت فالأنسب أن تمضى إليه وتحتج عن نفسك فقبل انتيبطرس قولهم ومضى إلى أورشليم فلم يستقبله أحد لما بلغهم من غضب الملك عليه ولأنه كان مكروها لخبثه فلما رأى انتيبطرس ذلك تحقق غضب أبيه عليه ثم دخل إليه فلما رأه أبوه حول وجهه عنه وقال له أبعد عنى يا فاقد كل صلاح أذهب من وجهى أيها العارى عن الإنسانية وأحضر فى الغد مع رسول قيصر وأحتج عن نفسك أن كان لك حجة. وفى الغد أمر هيرودس بأحضار قواده وأصحابه فحضروا حسب رتبهم وحضر هوراس رسول قيصر ثم نظر هيرودس إلى رسول الملك أوغسطوس وقال له هل سمعت يا هورأس ما فعل أبنى انتيبطرس إذ طلب هلاكى وأراد قتلى فقال هوراس لا تعجل أيها الملك وأبحث فتحقق الأمر ثم أمر هيرودس بأحضار الكتاب الذى كانت أم انتيبطرس قد بعثت إليه به وأتى به إلى الملك قبل أن يصل له فقرئ أمام الجمهور وما يأتى هو مضمونه. أنه قد أنكشف أمرك لدى الملك وعرف أنك عازم على قتله فإياك أن تعود إلى أورشليم بدون جيش جرار من الروم فأنك لا تخلص منه إلا بمحاربته. ثم أمر الملك بإحضار انتيبطرس فلما حضر طرح نفسه على رجلى أبيه وبكى وكان يتضرع فأراد من حضر أن يتوسطوا أمره فمنهم هيرودس وأمرهم بالصمت ثم أقبل على هورأس وقال له : لا يجوز لمن وقف على أعمال انتيبطرس أن يرحمه وقد تمنيت أن أكون بدون ولد مثل هذا الظالم لأن ذلك خير لى من أن أقتله ولقد علمت أننى قتلت ولدىّ ظلما بسببه إذ

خدعنى بحيله ومكره حتى قتلتهما وأحزنت نفسى وفرّحته وتكلم هيرودس كثيرا بمثل هذا الكلام ولما أمسك عن كلامه رفع انتيبطرس راسه عن الأرض قليلا كالأسير وطفق يحتج عن نفسه حتى توهم كثيرون أنه مصيب فلم يتنازل هيرودس لمحاربته بل أمر كاتبه نيقولاوس أن يجيبه عمّا تكلم فقال نيقولاوس لا يغركم أيها الحاضرون كلام انتيبطرس وخضوعه فأن ذلك مكر وخبث وخداع وبمثل هذا الكلام قتل أخويه وغيرهما واحتال على فيروراس أخى الملك بما لا يشك فى صحته.

وتكلم نيقولاوس كلاما كثيرا فى هذا المعنى بيّن به ظلم انتيبطرس فقال هيرودس لرسول قيصر انتيبطرس هل بقى له حجة يحتج بها فساله الرسول فلم يجب بحرف ثم أمر بأن يقيد انتيبطرس فقيد وسجن وذلك سنة ٣ ق. م ولم يزل مسجونا على أن أمر بقتله كما سيأتى فى مكانه.

الفصل العاشر

فيما أجرى السيد المسيح فى أورشليم وما جرى له فيها مدة تردده إليها [1]

إننا لا نعرف إلّا القليل عن تاريخ السيد المسيح قبل أن يشرع فى الوعظ والانذار وجل ما نعرفه عنه إنما هو ما ذكره الأنجيليون [2] من أنه فى السنة السادسة قبل التاريخ المسيحى إذ كانت نوبة زكريا الكاهن فى الهيكل ظهر له ملاك الرب وبشره بحبل امرأته اليصابات وأنها ستلد له أبنا وأمره أن يسميه يوحنا فأنكر زكريا ذلك قائلا للملاك كيف يمكن أن يتم ذلك وأنا شيخ وأمرأتى متقدمة فى السن فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف أمام الله أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدّق كلامى الذى سيتم فى وقته وكان كذلك فأن زكريا بقى صامتا إلى أن ولد يوحنا.

وفى السنة الخامسة ولد يوحنا وسموه أولا بأسم أبيه زكريا أما أمه فلم ترد هذا الأسم بل قالت يسمّى يوحنا فأومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن

---

[1] قد سردنا فى هذا التاريخ الحوادث بالتتابع حسب وقوعها وتاريخ حدوثها وإما سيرة السيد المسيح فرأينا من المناسب أن ندرجها وحدها بقطع النظر عمّا جرى من الحوادث معها فى ذلك العصر ثم نرجع إلى إدراج بقية الحوادث بعد ذلك كالماضى.

[2] متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

يسمّيه فأخذ لوحا وكتب قائلا أسمه يوحنا وحينئذ انفتح فمه ولسانه وتنبأ بأن يوحنا يتقدم أمام السيد المسيح ليعد طريقه.

وفى السنة الرابعة قبل التاريخ المسيحى بينما كان رعا متبدّون عند بيت لحم يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ظهر لهم ملاك الرب وبشرهم بولادة المسيح معطيا لهم علامة قائلا أنكم تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السموى يسبحون الله قائلين. المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة. فأسرع الرعاة إلى بيت لحم ووجدوا الطفل كما قال لهم الملاك فرجعوا فرحين وهم يسبحون الله. أما دخول المسيح إلى الهيكل المرة الأولى فكان لما تّمت أيام تطهير مريم أمه حسب شرعية موسى فأحضره أبواه إلى الهيكل ليقدماه للرب فإذا شيخ تقىّ أسمه سمعان قد أوحى إليه بالروح القدس أن لا يرى الموت حتى يعاين المسيح فأخذ الطفل على ذراعيه وبارك الله وقال الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام حسب قولك لأن عينّى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته أمام وجه جميع الشعوب نور أعلان للأمم ومجدا لشعبك إسرائيل. وكانت أيضا حنّة النبيّة الى وقفت فى تلك الساعة تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء فى أورشليم وتم ذلك بعد ولادته بثمانية أيام. وفى ذات هذه المدة جاء أيضا مجوس من المشرق إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود لأننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له فلما سمع هيرودس ذلك أضطرب مع كل أورشليم وجمع الكهنة والكتبة وسالهم أين يولد المسيح ؟ فقالوا له : فى بيت لحم لأنه هكذا تنبأت الأنبياء فدعا هيرودس المجوس سرا

وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر لهم وأرسلهم إلى بيت لحم وأمرهم أن يفحصوا بتدقيق عن الصبى قائلا متى وجدتموه أخبرونى لآتى أنا أيضا وأسجد له وكان عازما على قتله. فذهب المجوس والنجم يتقدمهم حتى وقف فوق حيث كان المسيح فدخلوا البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه فسجدوا وقدموا له هدايا وإذ كانوا عازمين على الرجوع إلى هيرودس ليخبروه أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إليه فساروا فى طريق أخرى إلى أرضهم. وأوحى إلى يوسف فى حلم أن يذهب إلى مصر خوفا من هيرودس فأخذ الصبى وأمه وذهب به إلى مصر.

أما هيرودس فلما رأى أن المجوس سخروا به أرسل فقتل جميع الأطفال الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين وما دون حسب الزمان الذى تحققه من المجوس.

ثم بعد ذلك بزمن يسير مات هيرودس الملك ميتة شنيعة كما سنذكر فتمكن أبوا يسوع من أن يرجعا به إلى وطنهما آمنين ولكنهما عوضا عن أن يقطنا بيت لحم مدينة داود العظيم الشأن قطنا قرية الناصرة الحقيرة وهناك أخذ ينمو ذلك الصبى العجيب يوما فيوما إلى سن الرجولية فى خلوة تحت مآوى الفاقة والفقر آمنا من حسد الحكام والولاة الأرضيين ومقاومتهم وكان مكبا على إطاعة شريعة موسى الألهية ضمن عائلة مشهورة بعظم التقوى وكان ينمو ويتقوّى ممتلئا حكمة بمناجاته مع أبيه السموى وكانت له تلك الخلوة كمدرسة رائقة استعد فيها على هدّو استعدادا باطنيا لذلك العمل العظيم الذى جاء لأجله وكان معا أن يجريه فى باقى حياته والذى أثرت نتائجه وأى تأثير فى جميع

أمم الأرض وشعوبها وأحوالها وعاداتها. وقد سكت الأنجيليون عن ذكر بقية أخبار يسوع قبل شروعه فى عمله العظيم علنا ولم يذكروا سوى حادثة واحدة أخبرنا بها لوقا البشير بقوله ولما كانت له أثنتا عشرة سنة صعد مع أبويه إلى أورشليم كعادة العيد وبعدما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته فلما أبصراه اندهشا وقالت له أمه يا بنىّ لماذا فعلت بنا هكذا هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذّبين فقال لهما لماذا كنتما تطلبانى ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى مالابى.

ويوم الأثنين فى ١١ نيسان من سنة ٣٠ دخل يسوع أورشليم دخولا حافلا وكان يحتف به جمع كثير من الناس فدخل الهيكل ليطرد منه الذين كانوا قد جعلوه مكانا للبيع والشراء وكان الجموع يصرخون قائلين أوصنا مبارك الآتى باسم الرب.

ويوم الخميس فى ١٤ نيسان من السنة المذكورة دخل أورشليم وفى طريقة لعن شجرة التين [١].

ويوم الجمعة فى ١٥ منه أخذه الجند إلى بيلاطس البنطى الذى بعد أن رآه أرسله إلى هيرودس انتيباس ثم أرجعه ثانية إلى بيلاطس وحينئذ

---

[١] مر ١٢: ١٣ – ١٤.

صلب ويوم الأحد قام من الموت وفى صباح ذلك النهار إذ كانت مريم المجدلية وغيرها آتين لينظرن القبر وجدن ملاكا جالسا أمامه وأخبرهنّ بقيامه المسيح من الأموات : وبعد ذلك ظهر لهنّ ثم لتلاميذه مرات كثيرة وبعد قيامته من القبر بأربعين يوما ظهر بتلاميذه أيضا فى أورشليم وأخذهم إلى جبل الزيتون ومن هناك صعد إلى السماء ولم يزل الموضع الذى صعد منه معروفا إلى الآن ومن أراد أن يعرف عن تعليمه وأعماله بأكثر تفصيل فعليه بمطالعة الأنجيل [١].

---

[١] هذا الباب منقول من نص الأناجيل وجميعها متضارب فى نسب المسيح.

الفصل الحادى عشر

حالة أورشليم عند موت هيرودس الكبير وخلافه أبنه أرخلاوس

فلنرجع الآن إلى ما كنا فى صدده فنقول : أنه فى السنة الرابعة قبل التاريخ المسيحى أى السنة التى ولد المسيح فيها مرض هيرودس الملك وكان مرضه يزداد يوما فيوما فطلب الموت ليستريح من أوجاعه ولم يفز به ثم أنه طلب تفاحة وسكينا يقشرها بيده ولما أخذ السكين رفعها بيده ليقتل نفسه بها فبادر الغلمان إليه وأخذوها منه فعلا الصراخ بسبب ذلك فظن الناس أن الملك مات فبلغ انتيبطرس وهو فى السجن ذلك فسر وفرح وطلب من الموكل به أن يطلقه فلم يجسر أن يطلقه قبل أن يتحقق موت الملك فلما علم الموكل به أن الملك حىّ ذهب إليه وأخبره بأمر انتيبطرس وما أظهر من سروره إذ بلغه خبر موته فغضب وأمر بقتله فقتل وأمر أن يمحى أسمه من كتاب العهد ويكتب مكانه أرخلاوس بن هيرودس ليكون له الملك بعد موته ثم مات بعد قتل انتيبطرس بخمسة ايام وله من العمر ٧٠ سنة وكانت مدة ملكه سبعا وثلاثين سنة وكان ملكا مهابا ذا سطوة وقد كان مع ذلك عسوفا متمردا. وقد قتل فى حياته مالا يحصى من الأنفس وكان قد أوصى أبنه أن يقتل بعد موته جميع المسجونين ليكون البكاء عموميا فى كل منزل لأنه كان يعلم أن الناس يسرون

بموته. غير أن أبنه خالف هذا الأمر وأطلق جميع المسجونين.

وبعد موت هيرودس قرأ نيقولاوس كتاب العهد على جمهور الأهالى وفيه ختم الملك وأن أرخلاوس يتولى الملك بعده فملكوه عوضا عن أبيه ومضوا هم وإياه ودفنوا الملك وكانوا قد وضعوه فى سرير من ذهب مرصع بالجواهر النفيسة والبسوه تاج الملك وأمسكوه صولجان الذهب بيده وسار بنوه أمامه وكانت الجنود سائرة معهم بأسلحتهم فدفن بإكرام وإحترام.

أما أرخلاوس فملك سنة ٣ بعد المسيح وإذ كانت أخلاق أبيه ذميمة خاف كثيرون أن يكون كأبيه فنبذوا طاعته فقتل منهم جمعا وذهب منهم قوم إلى أوغسطس وأخبروه بما كان يجرى فى أيام هيرودس وطعنوا فى أبنه أرخلاوس وقالوا له أنه قتل كثيرين منا وقد ملك بغير أمرك وأكثروا من الطعن فيه وطلبوا إليه أن يملك عليهم ولاة من أصحابه وكان أرخلاوس قد مضى أيضا هو ونيقولاوس كاتب أبيه فتكلم نيقولاوس أمام قيصر وقال أن اليهود لا يريدون أن يملك أرخلاوس لأنهم يريدون أن يعصوا الرومان ولو لم يكن ذلك كذلك لما تمنعوا عن الخضوع لابن هيرودس الذى كان طائعا للرومان فقبل أوغسطس كلامه وأتفق مع الشيخ الذى فى رومية على تثبيت أرخلاوس فى الملك خاصة لأنه كان قد ورد خبر إلى قيصر بأن اليهود قد عزموا على مخالفة الروم فتوجه وأمره بالرجوع إلى أورشليم فلما تم له الملك اساء السيرة بين اليهود وفعل أفعالا قبيحة منها أنه قتل ثلاثة آلاف من رعاياه فى وقت واحد وتزوج بأمرأة أخيه إسكندر المقتول فلما بلغ قيصر أفعاله الذميمة

أرسل أحد قواده وقبض عليه وذهب به إلى رومية ثم نفى إلى فيانا من أعمال فرنسا حيث بقى على أن مات وكانت مدة ملكه سبع سنين.

وبعد أرخلاوس ملك فى أورشليم قائد رومانى يدعى بوبليوس وذلك سنة ١٢ ميلادية وبعده تولى ولاة رومانيون غيره إلى أن تولى بيلاطس البنطى الذى فى أيامه صلب المسيح كما ذكر وسيأتى الكلام بهذا الشأن.

الفصل الثانى عشر

حالة أورشليم .. مدة تولى بيلاطس البنطى عليها وتولي غيره من الولاه الرومانيين ولاة الجليل الذين هم من نسل هيرودس الكبير

وسنة ٢٦ بعد المسيح ولّى طيبار يوس قيصر الرومانى بيلاطس البنطى على اليهودية وأرسل معه مثاله ليقيمه فى أورشليم ليعبده الناس وأصحبه بأمر إلى اليهود فيه يعرض عليهم بأن يسجدوا لهذا الصنم. وبعد أن نصبه قتل كثيرين من الذين لم يسجدوا له وقد حاول جلب الوية وبيارق رومانية إلى أورشليم لكن اليهود قاوموا ذلك. وأشتكى له اليهود فى سنة ٣٠ على المسيح قائلين أنه قال أنى ملك اليهود وإذا أحضر إلى بيلاطس ولم يجد فيه علة تستحق الموت أخذ ماء وغسل يديه وقال أننى برىء من دم هذا الصديق. وفى عيد الفصح إذ كان معتادا أن يطلق لهم مسجونا من ارادوه سالهم من تريدوا أن أطلق لكم يسوع أو باراباس (أحد المسجونين بسبب سرقة) فأجابوا باراباس فأطلقه وأما يسوع فسلمهم إياه للصلب.

وسنة ٢٧ ميلادية كان هيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير واليا على الجليل وكان محبا لرعاياه وهو الذى بنى مدينة طبريا وتزوج بابنه أرتياس ملك العرب ثم طلقها ونتج من ذلك بينه وبين أبيها حروب

كثيرة ثم أنه تزوج بهيروديا امرأة أخيه فيلبس إذ كان لم يزل حيا وقد ضادّ يوحنا بن زكريا بحرارة هذا الزواج وبسبب مقاومته أمر بسجنه وذلك سنة ٢٨ ميلادية.

وسنة ٢٩ ميلادية إذ كان تذكار مولده رقصت ابنه هيروديا امرأة أخيه فيلبس فسرت هيرودس ولذلك وعد بقسم أنه يعطيها كل ما طلبت وإذ كانت قد تلقنت من أمها طلبت رأس يوحنا المعمدان بن زكريا فأرسل وقطع رأسه فى السجن فأحضر على طبق ودفع لها وإذ بلغ ذلك تلاميذه تقدموا وأخذوا الجسد ودفنوه. ثم أن الدولة الرومانية نفت هيرودس المذكور إلى ليون من فرنسا لأنه أتهم بالمداخلات فى مؤامرات سرية وذلك سنة ٣٩ ميلادية.

وبين سنة ٣٠ و٣٧ ميلادية بعد صعود المسيح إلى السماء أجرى تلاميذه أمورا وعجائب كثيرة منها أنه إذ وشى بهم إلى رئيس الكهنة وأتباعه فى أورشليم وسجنوا ففى الليلة التى سجنوا فيها أتى ملاك الرب من السماء وأخرجهم من السجن والأبواب مغلقة وأمرهم أن يبشروا بالمسيح علانية فى وسط الهيكل فكان كما أمرو فى اليوم الثانى إذ طلب رئيس الكهنة أن يحضروهم أمام المجمع ومشيخة بنى إسرائيل ذهبوا إلى السجن فرأوا الأبواب مغلقة ولم يجدوا أحدا فيه فلما سمع رئيس الكهنة وقائد الجند أرتابوا من ذلك.

وفى ذلك الوقت أتى رجل وأخبرهم بأن الذين سجنتموهم بالأمس هم الآن فى الهيكل يعلمون الشعب فأحضروهم وقالوا لهم ألم نقل لكم

أن لا تبشروا بهذا الاسم فقالوا لهم ينبغى أن يطاع الله أكثر من الإنسان فحنقوا عليهم وأرادوا قتلهم وكان حاضرا رجل اسمه غمالائيل فأشار عليهم بأن يتركوهم قائلا أن كان هذا من الله فلا يمكنكم أن تقاوموه وإن كان من الناس فسوف يتلاشى من ذاته.

وفى سنة ٣٧ ب. م أقام اليهود أضطهادا على الكنيسة وقتلوا اسطفانوس رجما بالحجارة (ولم يزل الموضع الذى رجموه به معروفا إلى الآن يقصده السياح) وإذ كان هذا الأضطهاد شديدا التزم جميع الذين أمنوا بالمسيح ما عدا تلاميذه الأثنى عشر أن يتشتتوا فى كور اليهودية والسامرة وكانت الرسل تجرى عجائب كثيرة.

وفى هذه السنة : إذ كان وزير كنداكة ملكة الجيش قد سجد فى أورشليم بينما هو راجع لاقاه فيلبس بأمر ملاك الرب إلى الطريق وبشره بالمسيح فأمن. ثم عمده واختطف عنه ولم يعد يراه أما فيلبس فوجد فى أشدود.

وسنة ٣٨ بعد الميلاد إذ عامل بيلاطس السامريين معاملة ظالمة طلب إلى رومية وحكم عليه بالنفى إلى فيانا من فرنسا ويظن أنه قتل نفسه ياسا وخيبة.

وفى هذه السنة : ملك فى أورشليم كرسى اليهودية هيرودس أغر يباس حفيد هيرودس الكبير وكانت ولادته سنة ٧ قبل المسيح وموته سنة ٤٤ بعد المسيح وقد تربى فى رومية وملكه أوغسطس قيصر فسرّ حكمه اليهود ولأجل أرضائهم قتل يعقوب الرسول أخا يوحنا وإذ رأى أن ذلك

يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس الرسول ليقدمه ضحية لهم بعد الفصح فخلصه ملاك الرب من السجن [١] وإذ كان يقام العاب فى عيد إكراما لقيصر آتى إليه أهالى صور وصيدا يلتمسون رضاه لأنه كان ساخطا عليهم فصفح لهم. وفى يوم معين توشح بملابسه الملكية وخاطبهم من عرشه فمجدوه كاله فقبل ذلك بفرح وبسبب افتخاره ومات للحال ميتة شنيعة سنة ٤٤ ميلادية وهى السنة التى بها قتل يعقوب وسجن بطرس المذكورين وقد حكم سبع سنين.

وسنة ٤٠ ميلادية أمر كليغولا بترونيوس الوالى أن يضع تمثاله فى هيكل أورشليم ويتوسط هيرودس أغربباس بطل هذا الأمر.

وفى سنة ٤٤ ميلادية وهى السنة الثانية من ملك نيرون قيصر قتل يوثار رئيس الكهنة ومات فستس فثار اليهود على من كان فى القدس من النصارى وهدموا البيعة وأخذوا الصليب ودفنوه فى الأرض وأخرجوا النصارى من القدس لعشر من ملك نيرون فأجازوا الأردن وأقاموا هناك وكان ذلك واسطة لخلاصهم من حرب تيطس.

وسنة ٤٥ ميلادية تولى اليهودية كوسيبوس فارس الرومانى من قبل الدولة الرومانية وفى أيامه حدثت مجاعة عظيمة فى كل اليهودية.

وسنة ٤٦ ميلادية طلب إلى رومية وقد ولّت الدولة الرومانية على اليهودية تيباريوس اسكندر عوضا عنه.

وسنة ٤٧ ب. م تولى وانتيديوش كومانوس اليهودية وقد حدث فى

---

[١] سفر أعمال الرسل الإصحاح الثانى عشر.

أيامه أضطرابات كثيرة وإذ لم يحسن السياسة أرسلت الدولة الرومانية عوضه فيلكس الوالى وذلك سنة ٥٣ ميلادية.

وسنة ٥٨ ميلادية للمسيح رجع بولس الرسول إلى أورشليم بعد أن كان جائلا من مكان إلى آخر مبشرا بالمسيح ولما دخل الهيكل وكان يبشر هاج الشعب عليه وضربوه ثم أخرجوه خارج الهيكل وعزموا على قتله وإذ بلغ الأمير ذلك أخذ عسكرا وسار إليهم فلما رأوه كفوا عن ضربه ثم أمر الأمير أن يقيد بالسلاسل ويؤخذ إلى المعسكر وبعد أن أحتج بولس لدى الشعب ولدى المجمع عزم اليهود على عمل كمين لقتله وإذ بلغ ذلك الوالى أرسله ليلا مع مئتى عسكرى وسبعين فارسا ومئتى رامح إلى قيصرية [(١)](1) إلى فيلكس الوالى وقد ابتدأت الفتن التى كانت بداية خراب أورشليم من أيام أغريباس بن أغريبا ابن أرسطوبولوس وكان حدوثها فى جميع بلدان اليهودية وفى بلاد الشام ودامت واتصلت وتحرك المتغلبون والخوراج [٢] وزاد الشرق والفسق وربطت الطرق وكان الشر يزيد والخير يقل داخل المدينة وخارجا بين اليهود وبين الرومانيين وكانوا يقتلون بالسكاكين كثيرين بحيث لا يعرف

---

[١] وهى قيصرية فلسطين كانت مقرا لولاية فلسطين الرومانية بعد سقوط أورشليم. حسّن بناءها ووسعها هيرودس الكبير سنة ٣٣ ق. م وسميت قيصرية فلسطين تمييزا بينها وبين قيصرية فيلبس التى تسمى الآن بانياس وهذه أى بانياس موقعها فى أعلى الحولة يخرج منها النهر البانياسى من مغارة كانت مكرسة لمعبود من معبودات الرومانيين أسمه يان ومن ذلك تسمية المكان بان ياس ويصب هذا النهر فى بحيرة الحولة وفيها آثار هيكل بناه هيرودس ملك أورشليم على اسم أوغسطس قيصر وفيها أيضا قلعة من بناء العرب مبنية من الحجارة الصلبة والكبيرة.

[٢] وهم ثلاثة العازر ويوحانان وشمعون وكان لكل مهم حزب.

القاتل من الازدحام ولما كثر الشر لم يعد أهل الصلاح يريدون السكنى فى أورشليم فأجتمع كثيرون وخرجوا بما لهم فذهب قوم من الأشرار وأخبروا فيلكس صاحب الرومان بأن قوما من اليهود خرجوا من أورشليم ولم يخرجوا إلا لأنهم يريدون أن يعصوا على الرومان فوجه فيلكس قوما فقتلوا أكثرهم وأسروا من بقى وكان ذلك الوقت كاهن كبير على اليهود اسمه حنانى وله ولد اسمه العازر كان جبارا شجاعا فاتكا وكان قد انضم إليه كثيرون نظيره فكانوا يمضون إلى مدن سوريا وينهبون ويقتلون ما شاءوا فلما اكثروا من القتل والنهب والفساد استغاث السريان بفيلكس [١] [٢] صاحب الرومان فاحتال فيلكس عليه وقيده وأرسله إلى رومية وقتل أصحابه وبعد مدة عاد العازر إلى أورشليم. وذهب اغريباس ملك اليهودية إلى رومية ليسلم على نيرون قيصر فحدثت فى غيابه حروب كثيرة بين اليهود الذين كان فى مقدمتهم العازر والرومانيين أتباع فيلكس وذلك لأن فيلكس جار على اليهود وظلمهم وبعد حروب كثيرة غلبوه وهزموه وقتلوا كثيرين من أتباعه وطردوا من بقى فى أورشليم فسار فيلكس إلى مصر والتقى هناك باغريباس راجعا من رومية إلى أورشليم ومعه قائدان رومانيان ومعسكر عظيم فأخبره فيلكس بما جرى عليه وعلى أصحابه من العازر ورفاقه وبعد ذلك سار اغريباس إلى أورشليم فأستقبله الأهالى بكل إكرام ولقبهم اغريباس بالجميل وسالهم عن أحوالهم فأخبروه بما فعل فيلكس بهم وطلبوا أغاثته على الرومان وقالوا له أننا لا نطيعهم فيما بعد ولا نخضع

---

[١] عامل على معاضدته فى سبيل انفاذ ؟ ؟ ؟ مآربه وكانوا سببا لحزب أورشليم.

لأوامرهم فأغتم اغريباس لسبب الضيق الذى جرى عليهم وشق عليه مخالفتهم الرومان لأنهم بذلك يعرضون أنفسهم للهلاك فلطف بهم وسكتهم بسبب الرومان الذين جاءوا معه دخل الهيكل وكان الشعب يضج بالعصيان عليهم فأمر اغريباس أن يسكت الجمع ثم قال لهم قد فهمت ما فعلوا بكم ولكن لا حيلة لنا بهم ولا بد لنا من مداراتهم لأن الله قد سلطهم على الدنيا بأسرها وأذل لهم جميع الأمم وما نحن أقوى من جميع الذين خضعوا لهم وإذا أظهرتم العصيان تحركون قيصر إلى محاربتكم لأن الجميع يطيعونهم وليس الروم مثل العرب والسريان وأهل أدوم الذين حاربتموهم وعرفتم قتالهم بل هم أشد باسا من جميع الذين حاربتموهم وأن أتكلم على حصونكم فما هى أعظم من الحصون التى قد فتحوها. ومع ذلك فأنا أكتب إلى قيصر بما فعله أصحابه وأطلب إليه أن يرسل اليكم من خيار قواده ويأمرهم بأن يحسنوا إليكم والصواب أن تقيموا على ما كنتم عليه من الطاعة له. وأنتم تعلمون أن قوما بينكم يريدون الشر ويسرهم أن تحدث الفتن حتى يسرعوا اليها فإذا سهلتم السبيل لذلك قويت شوكتهم وانبسطت أيديهم على أهل الخير فأهلكوهم ثم تنالون ما تكرهون وتبلغ اعداؤكم فيكم ما لا تحبون فتندمون حيث لا ينفع الندم ثم بكى اريباس أما العزر بن حنانى الكاهن وأصحابه فلم يقبلوا بذلك وأضمروا مخالفة الرومان. وفى ذلك الوقت أرسل نيرون قيصر هدية إلى بيت الله حسب ما كان ملوك رومية يفعلون فأخرج العازر تلك الهدايا وطرحها خارجا ومضى مع أصحابه وقتلوا القواد الذين جاءوا مع اغريباس وقتلوا من كان فى أورشليم من الرومان

ولم يعلم اغريباس بذلك لأنه كان مقيما مع عسكره خارج المدينة فلما علم شيوخ المدينة وأكابر الناس بذلك استعظموا الأمر وخافوا من عاقبته وكتبوا إلى اغريباس يعلمونه بذلك فأرسل إليهم قائدين ومعهما ثلاثة آلاف رجل فأسعفوا شيوخ المدينة وكانت حرب دامت سبعة أيام فظفروا بالعازر وأتباعه فانهزموا إلى فسحة الهيكل فتبعوهم وهناك جرى قتال عظيم فالتحمت السيوف والحراب بينهم واشتدت وكان مع أصحاب العازر جماعة يحملون سكاكين فدخلوا بين القوم والقوم لا يعلمون أن معهم سلاحا فقتلوا منهم خلقا كثيرا وهرب رجال اغريباس والشيوخ وأهل السلامة وأقاموا خارجا مع اغريباس. فقويت يد العزر وحرق قصر الملك وقصر أبيه واستولى على المدينة.

ولما رأى اغريباس ذلك ذهب إلى نيرون قيصر وأخبره بما جرى فغضب وكتب إلى كسبينا صاحب جيشه يأمره بالمسير مع اغريباس إلى القدس ليرد اليهود إلى طاعته وكان كسبينا فى الشام راجعا منصورا من حرب العجم وقد بلغه ما فعله العازر من مخالفته قيصر فغضب من ذلك ولما جاء إليه اغريباس وأخبره بما أمره قيصر به عن مسيره معه لمحاربة اليهود فرح كسبينا بذلك لأنه كان يريد الأنتقام من اليهود فجمع عساكر كثيرة وسار مع اغريباس وحرق مدن اليهود التى كانت فى طريقه وقتل أهلها ولما وصل إلى أورشليم لقيه العازر فتحاربا وكانت الغلبة لكسبينا واغريباس وبعد ذلك طلبوا من العازر الصلح فأمتنع وقتل الرسل ثم جمع رجاله ومن أنضم اليهم وخرج فى اليوم الرابع من المدينة وقتل من الروم ألوفا كثيرة فلما رأى كسبينا شدة باس اليهود خاف ولما

صار الليل فرّ برحاله بعد أن أمر نحو أربعين رجلا أن يشعلوا النار وينفخوا فى الأبواق الليل كله ليظن اليهود أنه باق أمام المدينة. فلما علم العازر بذلك خرج فى أثرهم إلى قيصرية فحاربهم وهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا فهرب كسبينا ومن بقى من ارفاقه إلى رومية.

الفصل الثالث عشر

حالة أورشليم فى إبتداء دخول وسبسيانس الرومانى إليها

سسنة ٤٧ ب. م لما وصل كسبينا ومن معه إلى رومية وأخبروا نيرون قيصر بذلك عظم عليه الأمر. وفى ذلك الوقت ورد إليه خبر بأن الفرس عصت عليه بعد رجوع كسبينا فقلق من ذلك. وكان قبل ذلك قد وجه قائدا عظيما يقال له وسبسياس إلى بلد المغرب والأندلس ففتحها وأستولى عليها ثم عاد إلى رومية فى ذلك الحين فأمره أن يسير بجنوده إلى اليهود ويفنيهم ويخرب بلدانهم ويهدم حصونهم المنيعة فسار وسبسيانس من رومية ومعه ابنه تيطس واغريباس الملك فى عسكر كبير فيه أكثر فرسان الرومان وشجعانهم وجبابرتهم فلما أنتهوا إلى انطاكية بلغ اليهود ذلك فتهيأوا لمحاربتهم وقسموا بلادهم ثلاثة أقسام وأختاروا ثلاثة من الكهنة الشجعان وأصحاب الرأى الحسن فالأول من هؤلاء الثلاثة يوسيقوس الكاهن أى يوسف بن كربون وهو يوسيفوس المؤرخ الصادق الشهير والثانى حنانى الكاهن والثالث العازر بن حنانى وجعلوا الكل من هؤلاء قسما من الأقسام التى قسموها وأعطوا ذلك بالقرعة فكانت أورشليم وكورتها لحنانى الكاهن الأكبر. وبلاد أدوم لأبنه العازر وطبرية وجبل الجليل ليوسيفوس فقوى أمر هؤلاء الثلاثة بالمال والعساكر

والسلاح وتوجهوا إلى إصلاح مراكزهم.

وفى هذه المدة إذ كان نيرون قيصر قد أصدر أمرا بأن يسجد له كمعبود تمنع اليهود عن ذلك وأرسلوا إليه إلى رومية رجلا فاضلا اسمه فيلو وقالوا له لا يمكننا أن نسجد لغير الله ولا نعبد سواه فأستشاط نيرون غيظا واسمع فيلو كلاما مهينا فخرج وأخبر اليهود رفقاءه بما جرى فأجتمعوا مع اليهود الذين فى رومية وطلبوا إلى الله أن ينجيهم من هذه البلية ففى اليوم الثالث ثارت جيوش نيرون عليه لشدة ظلمه وهجمت عليه وقطعته بالسيوف وطرحته أمام الكلاب ولم يدفن وملك بعده غلبا قيصر فأحسن إلى فيلو وجماعته وأذن لهم بالرجوع إلى أورشليم فرجعوا ثم هدموا ما كان أصحاب نيرون قد بنوه من المذابح ومحوا أثارها وكان ذلك سنة ٦٨ ب.م.

أما حنانى الكاهن أحد القواد الثلاثة فأنه عمر أسوار أورشليم ورفعها وجعل فيها الرجال والعدد الكثيرة. وأما يوحانا الخارجى فدخل أورشليم وأجتمع إليه قوم فقوى بهم وانبسطت يده على أهل المدينة وقبض على أصحاب الأموال وأخذ أموالهم وأرتكب القبائح وطلب إلى الشيوخ أن يسعفوه على تنفيذ مآربه ولما أمتنعوا عن اطاعته قتل كثيرين منهم فثمنى الشعب أن يأخذ الرومان المدينة ليستريحوا من شره فلما عظم أمره أجتمع رؤساء المدينة الذين كانوا مع حنانى الكاهن وأنضم إليهم قوم فحاربوا يوحانا وعظمت الحرب بينهم وكثرت القتلى من الفريقين فأنهزم يوحانا وأصحابه إلى

القدس وتحصنوا فيه فكره حنانى أن يقام قتال فى بيت الله ولذلك أمر رجاله أن يكفوا عن القتال بعد أن وكل نحو ستة آلاف بحراسة يوحانا حتى إذا خرج هو أو أحد أتباعه يقبضون عليه وطلب حنانى من يوحانا الصلح فأبى لأنه آتى من أدوم نحو ٢٠ ألف رجل بالسلاح والعدد فأغلق حنانى أبواب المدينة وسالهم من داخل السور عن مرادهم فقالوا أننا أتينا لنسجد لله وكان أهل أدوم يحفظون دين اليهود من عهد الملك هر كانوس فقال ولم أتيتم بهضا السلاح فقالوا خوفا من الرومان فأجابهم قائلا قد بلغنى أنكم قادمون لمعونة يوحانا فالأولى بأن تعينوا أهل الصلاح على قوم الفساد لأنهم قد ظلموا وقتلوا وأرتكبوا الحرام وجرى بينهما كلام طويل.

قال يوسيفوس وبينما هما يتكلمان عند المساء وإذا برعد عظيم وبرق هائل وأصوات مخيفة ومطر كثير وبرد كبير تتطاير منه شرارات نار محرقة فلم يستطع حنانى الثبوت على الحسن فرجع إلى منزله ولما بلغ يوحانان الخارجى رجوع حنانى عن الحصن ورجوع المحافظين على القدس مضى هو ورجاله وكسروا الأبواب وأدخلوا الأدوميين فصاروا معهم وقتلوا نحو خمسة آلاف من المدينة ونهبوا ماشاء وفى تلك الأيام ظهر شمعون الخارجى وفعل كيوحانان فطرده حنانى من المدينة فمضى إلى إحدى الضيع وأجتمع إليه نحو ٢٠ ألفا فلما بلغ أهل أورشليم ذلك أرسلوا جيشا لمحاربته فهزمهم وكسرهم ورجعوا إلى أورشليم.

ثم جاء شمعون إلى أورشليم وحمل عليها فكان يوحانان يحارب أورشليم من داخل وشمعون يحاربها من خارج ثم طلب إليه أهل أورشليم

أن يدخل المدينة ويسعفهم على يوحانان ظنا منهم بأنه يكفيهم شره فدخل المدينة بعد أن عاهدهم على أن يحسن السيرة معهم ويعينهم على يوحانان فلما دخل المدينة نقض عهده واضرّبهم ولم ينفعهم وحدثت حروب طويلة بينه وبين يوحانان.

وسنة ٦٩ ميلادية ورد خبر لوسبسيانس أن أوثون الذى ملك بعد غلبا قيصر قد مات وأن أصحابه ملكوه عليهم فرجع إلى رومية وأخذ معه نصف عسكره بعد أن سلم قيادة النصف الآخر لأبنه تيطس.

الفصل الرابع عشر

حالة أورشليم فى حصار تيطس وحروبها الداخلية

وعظمت الحروب واشتدت الفتن ولم تقطع بين يوحانان وشمعون لا صحوا ولا ليلا ولا نهارا وكان العازر بن حنانى وهو من الخوارج الثلاثة غائبا فرجع فى ذلك الوقت. وكان هؤلاء الخوارج الثلاثة يحاربون بعضهم بعضا ويحاربون شعب اليهود أيضا حتى كانت أورشليم ميدان حرب متواصلة فكثرت القتلى فى الشوارع والأزقة وفى نفس القدس ولم تعرف كميتهم وكثرت دماء المقتولين فأكتسبت الأرض دماء وكانت جثث القتلى تتساقط بعضها على البعض الآخر فأنتنت المدينة وكثرت بها الأمراض الوبائية وهكذا كان فى المدينة أربع آفات عظيمة وهى القتل والحريق والجوع والمرض فكره الناس الحياة وتمنوا لأنفسهم الموت وسنة ٧٠ ميلادية إذ كان تيطس يرغب فى إنهاء حرب اليهود ليسير إلى أبيه وكان وقتئذ مقيما فى قيصيرية مضى بستمائة فارس إلى أورشليم لينظر حصونها وأحوال المدينة فرأى أن أبوابها مغلقة فرجع إلى عسكره وكان قد بلغ قدومه مع قوما من الخوارج فكمنوا له فى إحدى المواضع ولما وصل نهض الكمين إليه وجرت بينهما حرب فلم ينج من الهلاك إلّا بصعوبة كلية وبذلك الوقت شاهد من بسالة اليهود ما لم يكن ينتظره.

وفى اليوم الثانى زحف تيطس بجيوشه على أورشليم ونزل بعسكره على جبل الزيتون ليكون وادى يهوشافاط فاصلا بينه وبين اليهود ورتب عساكره وأمرهم بالتعاون والتعاضد وقال لهم : أنكم ستحاربون قوما لم تقاتلوا مثلهم وقد شاهدت أمس من شجاعتهم ما دلنى على عظم باسهم ولما أصبح أهل أورشليم ونظروا جيوش الرومان فى جبل الزيتون أجتمع رؤساء الخوارج وأعتصبوا على الرومان وعزموا على اخماد نيران الحروب الداخلية ثم اجتمعوا وخرجوا إليهم وحدثت حرب مهولة قتل فيها خلق كثير من الفريقين وأنتصر الرومان على اليهود فرجعوا إلى المدينة ثم أرسلوا جيشا لمحاربتهم من الجهة الأخرى ليجعلوهم فى الوسط فتم ذلك وفاز اليهود فى تلك المعركة وثبت تيطس ذلك اليوم بعد أن قتل من رجاله كثيرون ثم عاد اليهود إلى أورشليم ونقض الخوارج المعاهدة التى كانت بينهم لأن يوحانان كان يريد الرياسة وشمعون والعازر لم يوافقاه. وإذا كان الفصح دخل يوحانان مع أصحابه إلى القدس مجرّدين عن السلاح الظاهر متقلدين بأسلحة خفية فسر الناس بقدومهم ولم يظنوا بهم السوء فلما توسطوا القدس اشهروا السلاح وأخذوا فى القتل بدون رحمة ولا شفقة وهكذا أشتدت الحرب داخل القدس بين الخوارج وإذ بلغ تيطس ذلك زحف بعساكره إلى المدينة فتقدم إليه قوم من اليهود وقالوا له : أننا نفتح لك الأبواب بشرط أنك لا تسىء إلينا وتخلصنا من هؤلاء الخوارج فلم يثق تيطس بكلامهم لما كان قد رآه من خبثهم. وجرت واقعة بين اليهود والرومان بدون أمر تيطس فأنكسر الرومان ورجعوا إلى معسكرهم.

ثم تقدم تيطس وكانت اليهود مشتغلة بمحاربة بعضها بعضا فكان متى رأى الخوارج أن الرومان تقدموا إلى المدينة وقوى أمرهم يرفعون الحرب من بينهم ويحاربون الرومان وبعد أن يهزموهم يعودون إلى محاربة بعضهم بعضا فجرى أمرهم على هذا المنوال أياما. ثم وجه تيطس نيكاتور أحد قواده ليخاطب اليهود بالصلح فرماه بعضهم بسهم قتله به فغضب تيطس وأمر بإحضار الكباش وألات الهدم وصنع أبراجا من خشب تسير بعجلات فحارب اليهود وشدّد الحصار فلما عظم الأمر عليهم اصطلحت أحوالهم وخرجوا إلى الرومان فحاربوهم وحرقوا الكباش والآلات وتلك الأبراج وقتلوا منهم جماعة وأبعدوهم عن الحصون ثم رجعوا إلى محاربة بعضهم بعضا وقويت الفتن وشغلوا عن محاربة الرومان. ثم جدد تيطس الكبش وأمر أن تدفع على السور دفعة قوية فسقط جانب منه فهرب من كان داخله إلى السور الثانى وكان للمدينة ثلاثة أسوار الواحد بعد الآخر ثم أمر تيطس أن ينقل السور الذى هدم إلى بعد ليوسعوا تلك الثلمة ويتمكنوا من القتال فلما رأى الخوارج أن السور الأول قد هدم جددوا الصلح وتعاهدوا برفع الحرب من بينهم ونهضوا لمحاربة الرومان ففرقوا أصحابهم من كل الجهات وأشتد القتال بين اليهود والرومان وعظم الخطب لأن تيطس تولى قيادة الجيش بنفسه وكان يشجع أصحابه ويعدهم بالجوائز وكان شمعون ينادى بأن من أنهزم قتل فكانت الحرب شديدة وأمر تيطس بدفع الكباش على السور الثانى فأنهدم منه جانب وبادر اليهود إلى المواضع التى هدمت فثبتوا هناك ولم يدعوا الرومان يدخلون. وفى اليوم الرابع ورد إلى تيطس

جيش عظيم من أمم أجتمعوا إليه فخرج اليهود لمحاربتهم فلم يكن لهم طاقة على الثبات فكسروهم الرومان وأرجعوهم إلى الحصن فدخلوا وأغلقوا الأبواب. وفى تلك الأيام أى فى شهر تموز ابطلت الذبيحة الدائمة. أما تيطس فبعد هذه النصرة أمسك عن الحرب خمسة أيام وأحب أن يلاطف اليهود ويرجعهم إلى طاعته آمنين فراسلهم بذلك فلم يجيبوا طلبه ثم ركب تيطس وتقدم إلى الحصن فوجد يوحانان وشمعون وأصحابهما قد خرجوا ليحرقوا الكباش وغيرها من آلات الحرب التى صنعها الرومان لهدم الحصن فبادر إليهم ولاطفهم وحياهم بالسلام وقال لهم : قد رأيتم ما صنعنا وقد هدمنا سورين ولم يبق إلّا سور واحد هدمه سهل علينا فأرجعا إلى ما كنتم عليه قبل أن نأخذ المدينة بالسيف ونهدم الهيكل. وبعد أن خاطبهم كثيرا أمر يوسيفوس أن يخاطبهم بهذا الشأن وكان (يوسيفوس قد أسر فى الحروب التى جرت بين تيطس واليهود فى الجليل) فتقدم إلى الحصن وأخذ يخاطب الشعب ويحثهم على الطاعة وقال لهم : أنكم أن لم تطيعوا لهم تصبح مدنكم مدثورة ونساءكم أرامل ورجالكم قتلى ويهدم القدس فلما سمع الخوارج كلامه شتموه وأسمعوه القبيح ورموه بالحجارة فتباعد عنهم قليلا وأغلظ لهم الخطاب وبعد أن تكلم طويلا بالقساوة قال لهم : أيها الأخوة إلا تشفقون على هذا القدس الشريف فأن كنتم لا تشفقون عليه فأشفقوا على أنفسكم ونسائكم وأولادكم لأنكم أن لم تسلموا فلابد من هدم مدينتكم وإبادتكم فتندمون إذ لا ينفع الندم فأن كنتم تظنون أننى أخدعكم وأريد أسعاف الرومان عليكم فأنكم تعلمون أن أبى وأمى وزوجتى وأولادى عندكم فإن ظهر

لكم من تيطس بعد طاعتكم له ما يخالف كلامى فأقتلوهم وأقتلونى فقد رهنت دماءهم ودمى على ذلك. ثم بكى يوسيفوس بكاء شديدا وكان تيطس يسمع كلامه فرق له قلبه وأمر بإطلاق كل الأسرى من اليهود فرغب أكثر أهل المدينة فى طاعة تيطس وآثر بهم كلام يوسيفوس وعملوا على قبول كلامه فمنع الخوارج ذلك وشددوا التحفظ على الأبواب وأمروا البوابين أن يقتلوا كل من أراد الخروج من اليهود إلى الرومان فأشتد الحصار وقل الطعام وأشتد عليهم الجوع وكان الخوارج يأمرون أصحابهم بتفتيش منازل الناس وأخذ ما يجدون عندهم من الطعام وقتل من يمانعهم فكان يحتال كثيرون من اليهود بالخروج إلى ظاهر المدينة ليتناولوا شيئا من نبات الأرض ليقتاتوا به ، وكان الرومان يقتلون من يجدونه ويصلبونه فلما رأى الخوارج ذلك أقبلوا هم أيضا يقتلون كل من ظفروا به من اليهود الذين أرادوا أن يستأمنوا للرومان ويصلبوه على سور المدينة لينتظرهم الرومان فقتل بذلك خلق كثير فرقّ قلب تيطس لهم ونهى أصحابه عن صلب من يقبضون عليه وخاطب تيطس اليهود بالحسنى وكان يحسن إليهم وكان الخوارج يزيدون بذلك قساوة ويشتمونه ويخاطبونه بالقبيح وكان قصدهم بذلك أغاظته لينقطع عن مخاطبة أهل المدينة خوفا من أن يميلوا إليه.

فلما رأى تيطس أن كلامه وترفقه لم يأتيا بنتيجة عمل على هدم السور الثالث وفتح المدينة ليخلص أهلها من أولئك الخوارج القساة فقسم عسكره أربعة أقسام وجعلهم فى جهات المدينة الأربع ونصب كباشا ليضرب بها السور فخرج إليهم الخوارج وأصحابهم كالذئاب

وقاتلوهم قتالا شديدا حتى جرت الدماء كالسيل وكانت جثث القتلى كالتراب فحرق اليهود الكباش مع جميع آلاتها وقتل جمع كثير من الفريقين فنظر الرومان فى ذلك الوقت من اليهود ما هالهم وولوا مدبرين فردهم تيطس وشجعهم وقال لهم إلى أين أنتم منهزمون أين شجاعتكم إلا تخجلون من الانهزام بعد هدمكم سورين من أسوار المدينة ولم يبق إلّا سور واحد وقد هلك أكثر أهل المدينة من السيف والجوع وليس لهم معين من جهة ونحن عساكرنا متواثرة ولنا أمم كثيرة تعيننا ومتى انتصرنا عليهم نحصل بذلك على الفخر العظيم ولكننا أن انهزمنا من أمامهم فيلحق بنا عار لا يمحى مدى الأدهار ثم أتفق رأى تيطس وقواده على ترك المحاربة وأن يحاصروهم ويضيقوا عليهم إلى أن يقهرهم الجوع فيخرجوا إليه ففعلوا ذلك وحفظوا جميع طرق المدينة فضاق الأمر على اليهود وأشتد الجوع وكان ذلك سبب فتح المدينة.

وسعى قوم من الأشرار بأمتاى الكاهن إلى شمعون الخارجى وذكروا عنه أنه يريد أن يستأمن للرومان فأمر شمعون بالقبض عليه وعلى بنيه وكانوا ثلاثة فقبضوا عليهم وأتوا بهم إلى شمعون فأمر بقتلهم فطلب أمتاى أن يقتله قبل أولاده فلم يفعل ثم تضرع إليه أن يمكنه من ضمهم إليه وتقبيلهم قبل موتهم فلم يقبل بذلك حينئذ خاطب أمتاى شمعون خطابا أظهر به قساوته وإنكاره الجميل وقال فيه أن التسليم للرومان أخير من البقاء فى أورشليم وفضل الموت على مشاهدة خراب الهيكل وكان خطابا طويلا فلما فرغ من كلامه أمر بقتل أولاده ثم بقتله وطرحهم إلى خارج الحسن. ثم أمر بقتل حنينا وهو من أجلاء الكهنة

وأمر بطرح جثته على جثة أمتاى وقتل أرسطو الكاتب وخمسة عشر من كبراء الأمة وصلحائهم وقتل أحد عشر رجلا من أعيان المدينة لأنه بلغه أنهم أنكروا قتل أمتاى وقتل يهوذا رئيس الآلف وجماعة معه لأنهم أرادوا أن يستأمنوا للرومان لما رأوا من فعله مع أمتاى وغيره ولما رأى العازر فعل شمعون أيقن بخراب المدينة فخرج منها وأقام فى بعض المواضع إلى أن أنصرف تيطس. ولما طال الحصار على المدينة فنى كل شىء كان فيها من القوت فأكلت الناس الجيف ودبيب الأرض وكان من يملك على قليل من الحنطة يخاف أن يطحنه أو يخبزه لئلا يعلم به غيره فيأخذه منه فكانوا يأكلون الحنطة حبا ويسفون الطحين ويتخاطفون اليسير إذا وجدوه فلا يأمن الأب أبنه ولا البنت أمها فعظم الجوع والقحط وأشتد الأمر فمات كثيرون وأشتغل الأحياء بأنفسهم فلم يدفنوا موتاهم وكان بعضهم يرمى موتاه فى الآبار وبعضهم يحفر قبرا لنفسه وينام فيه إلى أن يموت وبطل البكاء وانقطعت الأصواب وزال الحنوّ وعدم الرثاء وأمتلأت المنازل والشوارع والأزقة من الجثث وكان الخوارج يرمون الموتى من السور إلى الوادى حتى اجتمعت منهم تلالا فمر تيطس ورأى ذلك فاستعظم الأمر ورفع يديه نحو السماء وقال اللهمّ لا تقم عليّ خطية لأن هذا الفناء قد جلبه رؤساء اليهود وقد استدعيتهم إلى الصلح مرارا وبذلت جهدى لذلك ولم يقبلوا. ولما طال الحصار جاع الخوارج وأصحابهم وأذاقهم الله ما أذاقوه للناس فأكلوا الحب الذى يوجد فى زبل الحيوان وجلود البهائم المائتة ثم أكلوا ما يوجد من الجلد على سروجهم على سيوفهم وكانوا يطلبوا شيئا من النبات فلم يجدوا لأن الرومان قطعوا كل الأشجار التى كانت حول أورشليم وكان حولها

بساتين كثيرة من كل جهاتها مسافة أميال فكان متى أقبل إليها الإنسان يرى أحسن منظر وكان كل من يعرف ما كانت عليه وما هى فيه يبكى ويتحسر.

وفى ذلك الوقت كانت امرأة تدعى مريم ولها ولد وحيد فلما أشتد عليهما الجوع قبضت باليسرى على ناصيته وباليمنى على السكين وذبحته بعد أن قالت له أيها الولد المنكود الحظ لماذا أبقيك هل لتموت جوعا أو لتموت فريسة الرومان ثم شوت منه جزءا وأكلت فلما أشتم الخوارج رائحة اللحم بادروا مسرعين إلى المرأة فلما وقفوا على حقيقة الأمر أستعظموا ذلك فقالت لهم : خذوا وكلوا لستم أحن من أمه التى ذبحته بيدها. وهذا كاف لتبيين الشدة والضيق اللذين نزعا من الوالدين حاسيات الحنو والشفقة ، ولما شاع هذا الخبر فى المدينة أيقن الأهالى بصحة النبوات عن خراب المدينة فخرج فى ذلك الوقت إلى الرومان جمع كثير فأمر تيطس أصحابه بالإحسان إليهم وكانوا كثيرين رجالا ونساء وأولادا ففعل أصحاب تيطس كما أمرهم وكان كثيرون منهم لا يقدرون أن يفتحوا أفواهم وكثيرون لما أكلوا الطعام ماتوا وكان الأولاد يخطفون الطعام وينهشونه ثم يموتون للحال فلما بلغ تيطس ذلك دعا إليه يوسيفوس وأمره أن يعولهم فسقاهم اللبن وأعتنى بهم فعاش كثيرون منهم وكان بعض من خرج إلى عسكر الرومان من اليهود قد ابتلع ذهبا لتخلصه لنفسه وإذ كان أحدهم يفتش ما برز منه ويأخذ ما كان بلعه رأه بعض السريان فأخبر رفيقه فقتلا اليهودى وأخذا ما كان معه وفشا ذلك بين السوريين والعرب فكانوا يقتلون كثيرين لأجل ربح المال فلما بلغ تيطس ذلك أمر بنفى العرب والسريان من معسكره. ولما علم الرومان

بسوء حال اليهود وفناء أكثرهم تقدموا إلى السور الثالث ونصبوا عليه الكباش ليهدموه فلم يكن للخوارج قوة على حرقها كما فعلوا فيما تقدم إلا أنه مع ما هم عليه من الضعف واليأس قاتلوا قتالا شديدا وقتلوا جماعة كثيرة فعند المساء عاد يوحانان وأصحابه إلى المدينة لضعفهم فدفع الرومان الكباش على السور فى الليل فهدموه وصرخوا عند ذلك صراخا عظيما وأقاموا مكانهم إلى الغد فلما اصبحوا نظروا وغذا قبالة ذلك الموضع الذى أنهدم من السور سور جديد بناه اليهود تلك الليلة وذلك لما رأوا أنهم لا يقدرون على حرق الكباش عزموا على بناء سور آخر داخل الأول فلما رأى الرومان ذلك استعظموا فعل اليهود وأيسوا من فتح المدينة فجعل تيطس يشجعهم ويحثهم على الثبات ويبشرهم بعدم متانة السور الجديد وبعد ذلك هجم الحبيشان بعضهم على البعض الآخر وأشتد القتال فتغلب اليهود عليهم وهزموهم وقتلوا منهم جمعا كثيرا فكلت الرومان من محاربة اليهود وأرادوا الأنصراف فلما علم تيطس بذلك جمع أصحابه وجعل يشجعهم وقال قد قرب الفرج فلا تضعف قواكم عند بلوغ الأمل ولا تضيعوا ما تكبدتموه من الأتعاب باطلا. وأنتم قد أتيتم إلى هذه الأمة لتعيدوها إلى الخضوع كما كانت وقد صبرتم على محاربتها طول هذه المدة حتى هلك رؤسائها وشجعانها وخربتم حصونها وافنيتم عساكرها بالجوع والسيف ولم يبق منها غير شرذمة تسير كالموتى فإن رجعتم عنهم تكنون قد أضعتم أتعابكم باطلا وأى ذكر جميل يخلد لكم فى بطون التواريخ بعد أنهزامكم وكنتم قد عزمتم على تملك المدينة فى أيام نيرون قيصر وعزمتم على تملك المدينة فى أيام نيرون قيصر

وعزمتم على أنكم لا ترجعون إليه إلّا منصورين مكللين بالغلبة وأعلام النصر ترفل فوق رؤوسكم فلما ملك وسبسيانس الذى هو أشجع من نيرون وأعظم بأسا منه علمتم على الرجوع فأى عذر يكون لكم عند الوصول إليه وأية حجة تحتجون بها أمامه.

فلما سمع القوم كلام تيطس تشجعوا ولما كان فى مساء اليوم الثانى أجتمع نحو عشرين رجلا من شجعانهم وعملوا على الدخول إلى المدينة بجماعة من العساكر فصعدوا إلى ثغرة السور ودخلوا المدينة لأن اليهود كانوا نياما لشدة تعبهم وجوعهم ولما دخلوا صرخوا فأستيقظ اليهود ولبثوا فى مواضعهم وسمع تيطس صوت أصحابه فعلم أنهم ملكوا بعض المدينة فمضوا مع جماعة من رجاله ووقف عند السور إلى الغد وحينئذ التقى اليهود مع الرومان وجرى قتال أنهزم فيه اليهود إلى القدس وتبعهم الرومان فأقتتلوا فى صحن القدس الخارجى بالسيوف قتالا عظيما لم يسبق له نظير لأن الجميع يئسوا من الحياة وأرادوا الموت وأمتلأ صحن القدس من الدم واستظهر اليهود على الرومان فهزموهم وأخرجوهم من القدس وحينئذ أمر تيطس بهدم بناء كان متصلا بالقدس ليتسع مرسح القتال على جنوده.

وإذ كان قد آن عيد اليهود أجتمعوا إلى القدس حسب عاداتهم فتقدم تيطس إلى القدس ومعه يوسيفوس فأستدعى يوحانان ورؤساء الخوارج وخاطبهم بصوت عال قائلا أخبرونى يا معشر اليهود أخبرونى ما الذى الجأكم إلى خراب هذه المدينة وهذا الهيكل المقدس فأشفقوا عليه فقد علمتم أننى لا أريد خرابه وإذا كنتم تريدون الحرب فأخرجوا إلى الصحراء لنحاربكم وأظهروا هناك شدة بأسكم ووفور شجاعتكم

ونزهوا هيكل الله عن الحرب ووقروه ولا تنجسوه بسفك الدم ولا تعطلوا منه القرابين والعبادة فأننا لا نريد ذلك ولا نقصد محاربتكم من أجله فقال يوحانان إيها الملك لا شيء أجل من لحومنا ودمائنا لنقربه قرابين فى هذا الهيكل فقال تيطس كيف تطمعون أنفسكم أنكم تكونون عند الله كقرابين مع أنكم عصيتم أوامره وخربتم قدسه. وخاطبهم تيطس بمثل هذا الكلام كثيرا وكان يوسيفوس يترجم قوله ويبكى بكاء شديدا وينتحب متحرقا ثم قال لهم أنى لست أعجب من خراب هذا البيت وهذه المدينة لعلمى أن مدتها قد أنتهت لكننى أعجب منكم وأنتم تقرأون كتاب دانيال النبى وتعلمون ما ذكره من ابطال الذبيحة وزوال التقدمة وترون ذلك قد صح وثبت. فلم يسمع الخوارج كلام تيطس ولا كلام يوسيفوس ولكن كثيرين من كبراء اليهود خرجوا إلى تيطس فأمنهم فلما علم الخوارج بخروجهم ضبطوا طرق القدس لئلا يخرج غيرهم. ولما علم تيطس أن الخوارج يمنعون القوم عن الخروج إليه تقدم ومعه يوسيفوس ليخاطب اليهود ويستعطفهم فلما رى اليهود يوسيفوس بكوا وأستعذروا لعدم تسليمهم للرومان وشكو من ظلم الخوارج الذين لم يسمحوا لهم بالخروج وإذ سمع الخوارج ذلك تبادروا إلى اليهود ليقتلوهم فهجم الرومان لخلاصهم وهجموا على اليهود فى القدس فقاتلوهم قتالا شديدا فأنهزم الرومان وهربوا إلى قدس الأقداس فتبعهم اليهود إليه وقتلوهم وإذ بلغ تيطس ذلك صاح بيوحانان وكان داخل قدس الأقداس وقال له يا يوحانان ألم يكتب فى التوارة أن الغريب الذى يدخل إلى هذا الموضع الأقدس يقتل ولم يؤذن بالدخول إليه إلّا للكاهن الأكبر وذلك

مرة واحدة فى السنة وأما أنت أيها المتعدى شرايع الهك فلم يكفك إنك دخلت فقط ولكنك سفكت فيه دماء الغلف ودماء اليهود أخوتك وقد علم الله أننى لا أريد خراب هذا البيت ولكن أعمالكم هى التى تخربه ولما رأى تيطس أن القوم لا يسمعون لكلامه استدعى ثلاثين ألف رجل أشداء وأمرهم أن يدخلوا صحن القدس ويحاربوا اليهود وأراد أن يدخل هو أيضا فمنعه قواده لئلا يقع فى المهالك وطلبوا إليه أن يقف فى مكان مرتفع ليراه جيشه وتشتد قلوبهم به وأتفق رأيهم أن يكبسوا اليهود فى الليل فلما علم اليهود عزمهم لم يناموا تلك الليلة فلم يتم للرومان ما أرادوا وفى الغد تفرق اليهود ووقفوا على طرق القدس فضبطوها وحاربوا الأعداء حربا قويا وأشتد القتال وأستظهرت اليهود على الرومان فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأبعدوهم عن القدس وحينئذ أمر تيطس أن يكفوا عن محاربتهم لعلمه أنهم لا يجدون ما يأكلون وإن الجوع يغنيهم وفى ذلك الوقت لم يجر بينهما قتال وكان اليهود لشدة الجوع يخرجون إلى معسكر الرومان ويسرقون ما يجدون من الدواب ليأكلوا وإذ بلغ تيطس ذلك أمر بحرس معسكره وكان حينئذ قد انتقل من جبل الزيتون لقرب المدينة وكان قد تبقى لهم مواش ودواب كثيرة هناك مع بعض الحراس وكان تيطس قد بنى فى وجه القدس حائطا خوفا من مهاجمة اليهود معسكره إذ كانوا قد خرجوا مرات كثيرة فمشى قوم من أصحاب الخوارج وهدموا الحائط وخرجوا منه إلى جبل الزيتون وقتلوا بعض الحراس وأخذوا المواشى والحيوانات وكان الرومان يقاتلون أولئك وقد أسروا واحدا منهم. وكان رجل مع اليهود اسمه يوناثان فلما رأى

صحابه أسيرا غضب واخذته الحمية وذهب على معسكر الرومان ونادى بأعلى صوته من كان منكم جبارا فيبرز إلىّ لأريه شجاعته ولو لم نساعدكم نحن على قتل رجالنا لما قدرتم على غلبتنا فبرو إليه أحد شجعان الرومان فقتله يوناثان فأغتم الرومان لقتله. وتشامخ يوناثان وأعتز طربا وجعل يطلب من يأتيه ليقاتله فرماه رومانّى بسهم فقتله به. ولما رأى اليهود أنه قد أنهدم سور المدينة وسور القدس وتملكه الرومان دبروا على إهلاك جماعة منهم وكان قصر بقرب القدس بناه سليمان الحكيم بن داود فطلوا هذا القصر بالنفط والكبريت والقار وأخفوا فيه رجلا ثم خرج اليهود فى الليل إلى القدس وحاربوا الرومان الذين فيه فأجتمع عليهم كثيرون غيرهم فأنهزم اليهود ودخل الرومان القصر وكانوا ينظرون إلى حسن صناعته فأشعل ذلك اليهودى القصر وفر فأشتعلت النار فى جوانبه وقويت فكان من أنحدر منه يقتلونه بالسيف ومن بقى فيه تأكله النار وبلغ ذلك تيطس فجاء بعسكره ولم يمكنه إطفاء النار وتخليص أحد. فخاف الرومان من اليهود وحيلهم وخرجوا من القدس على خيامهم.

وبعد ذلك أمر تيطس جميع جيشه أن يحاصروا المدينة ويحيطوا بها ويضيقوا عليها من غير أن يتعرضوا لمحاربتهم فلما طال الحصار مات أكثر من بقى منهم وخرج أصحاب الخوارج إلى تيطس فقبلهم. ثم دخل الرومان إلى المدينة والهيكل فلم يكن من يمنعهم وكان تيطس قد أوصى قومه بأن لا يحرقوا القدس وكان بابه مصفحا بالفضة فجاء الرومان واحرقوه ليأخذوا الفضة التى عليه فلما فتح دخلوا إلى القدس ونصبوا خيامهم فيه وقربوا ذبائحهم إلى تيطس ملكهم وكانوا يفترون على

الهيكل ويتكلمون بالفظائع فلما علم من بقى من اليهود ذلك هجموا فى الليل على الذين فى القدس وقتلوهم ولما بلغ تيطس ذلك جاء بعسكره وقتل أولئك. وفى الغد أجتمع الرومان وحرقوا باب قدس الأقداس وكان كله مغشّى بصفائح الذهب ولما سقطت الأبواب صرخوا صراخا عظيما فأسرع تيطس ليمنعهم عن إحراقه فلم يتم له ذلك لأن الأقدام كانت مزدحمة والضجيج كثيرا فلم يكن من يسمع وقتل فى ذلك اليوم من عسكره جماعة وذلك لأنهم دخلوا قدس الأقداس بحدة وحنق عظيمين بعد

أن كان قد أصدر أمرا بمنعهم عن الدخول ولم يمتنعوا. ولما دخل تيطس الهيكل ورأى قدس الأقداس وبهاءه أخذه العجب والدهشة وقال حقا أن هذا البيت الجليل ينبغى أن يكون بيتا لله ولقد أحسنت الأمم فى تعظيمها وتكريمها له وحملها الهدايا إليه ثم اشتعلت النار فى القدس وقويت على جميعه. ولما علم الكهنة بدخول الرومان إلى قدس الأقداس ليحرقوه جاءوا مستقتلين فحاربوا الرومان إلى أن لم يبق لهم حيلة فزجوا أنفسهم فى النار وقالوا لا عيش لنا بعد حرقه.

ولما علم اليهود الذين تبقوا فى المدينة أن قدس الأقداس قد أحترق مضوا وحرقوا كل ما كان فى المدينة من القصور الجميلة مع ما فيها من الذخائر والأموال. وفى ذلك الوقت ظهر رجل يدعى النبوة وقال : أن هذا البيت يبنى كما كان بدون شغل إنسان بل بقدرة الله فأستمروا على ما أنتم عليه وإذ سمع اليهود ذلك أجتمعوا وقاتلوا الرومان فظفروا الرومان بهم وقتلوهم بأسرهم وقتلوا كثيرا من اليهود الذين كانوا قد أمنّوهم فتم خراب هذه المدينة فى اليوم العاشر من شهر آب سنة ٦٧

بعد الميلاد وهدمت الأسوار والحصون إلى الأرض وأبقى ثلاثة من حصونها المنيعة لترى الصعوبات التى صادفها الرومانيون حتى تغلبوا عليها. وقال تيطس عندما نظرها ما من شيء سوى القدرة الإلهية جعلتنا أكفاء لأخذ هذه المدينة. ثم أمر بأن تجر سكّة الفلاحة فيها إشارة على تتميم خرابها وتم بذلك قول النبى ميخا ص ٣. ع ١٢ أن صهيون ستفلح كالحقل.

أما عدد اليهود الذين هلكوا فى هذا الحصار فهو إحدى عشرة كرة وعدد الأسرى سبعة وتسعون ألفا وحسب عدد المقتولين فى كل هذه الحرب فبلغ أربع عشر كرة وأثنتين وستين ألف نفس أى مليون و٤٦٢ ألف نفس. وهكذا كانت نهاية حروب اليهود حينئذ مع الرومان. ثم طلب شمعون ويوحانان الخارجيان من تيطس الآمان فأجابهما قائلا أننى راسلتكما بذلك مرارا وخاطبتكما شفاها إشفاقا على شعبكما ومدينتكما وتمنعتما عن القبول والآن بعد أن خربت المدينة وهلك أكثر أهلها تطلبان الآمان. وبعد ذلك اختبأ الخوارج فى المدينة ولما رأى أتباعهم ذلك ذهبوا إلى تيطس فأمنهم وحينئذ أستولى على كل المدينة وهدم سور صهيون ولما طال على يوحانان الاستتار وأشتد الجوع والعطش لبس لباس الملك وذهب إلى معسكر الرومان فاستهابوه وطلب الذهاب إلى تيطس ولما حضر أمامه أغلظ بالكلام عليه وأمر بأن يقيّد ويوضع فى المعسكر. وخرج هوشع الكاهن بمنارتين ومائدتين وأوان كثيرة ذهبية وأخذها إلى تيطس. وفى ذلك الوقت قبض على فتحاس صاحب الخزائن وطالبه بما تحت يده فسلمه كل شيء ثم رحل تيطس بالأموال والغنائم من أورشليم متوجها إلى رومية. أما العازر أحد

الخوارج فلما بلغه ارتحال تيطس من أورشليم عمر قرية ماصيو وحصنها بالأسوار وأقام فيها فبلغ ذلك قوما فساروا إليه فأتصل خبرهم بتيطس وكان وقتئذ فى انطاكية فخاف أن يقوى أمرهم فوجه قائدا من قوادهمى سلوانس فجاء القائد إلى ذلك الحصن فى عسكر كبير وحاصره إلى أن فتح وخرج العازر وأصحابه إليه واقاموا حربا عظيمة دامت على أن خيم الظلام ولم يدع العازر وأصحابه الرومان يدخلون الحصن وفى تلك الليلة جمع العازر رجاله وقال لهم أسمعوا يا ذرية إبراهيم أنكم طالما قهرتم الأمم وغلبتم الممالك وظفرتم بالأعداء وأما الآن فقد انعكست أحوالكم ومالك إلّا بمخالفتنا ناموس الهنا والآن قد غلبتنا الأعداء ولا حيلة لنا بالغلبة بعد أن خربت حصوننا وقتلت رجالنا والآن عليكم أن تختاروا أحد أمرين فأما أن تسلموا إلى أعدائكم وترتضوا بالذل والهوان وأما أن تزهدوا فى الدنيا وتتشجعوا فى الموت فتكونوا بذلك قد أكملتم الشجاعة وعزة النفس وخلصتم من إذلال الأعداء وأعلموا أن الموت فى العز خير من الحياة فى الذل وبعد أن تلا عليهم خطابا طويلا بهذا الشأن عزم الجميع على قتل أولادهم ونسائهم فى الصباح وطرحهم فى الآبار وبين الردم وإن يقاتل الرجال حتى الفنا فكان كذلك إذ قتلوا أولادهم ونساءهم وتقدموا لمحاربة الرومان فقتلوا منهم جمعا غفيرا ولم يكفوا القتال إلى أن لم يبق منهم أحد وهكذا تم خرابها ورجع من بقى من الرومان إلى بلادهم.

الفصل الخامس عشر

حالة أورشليم .. بعد أن خربها تيطس إلى تولى الإمبراطور أدريانوس وخرابه إياها تماما

بعد خراب أورشليم هذا انكسرت شوكة اليهود وضعفت قوتهم فرجع النصارى من عبر الأردن وبنوا كنيسة وسكنوا فى القدس وكانت تبنى رويدا رويدا إلى أن أعاد بناءها ادريانوس الإمبراطور الرومانى بعد أن كانت قد هدمت فى حصار تيطس ووضع فوق أحد أبوابها حجرا منقوشا فيه أوامره ومنع اليهود عن السكنى فى أورشليم وسمى المدينة ايليا ووضع على إحدى ابرابها صورة خنزير لكى ينجسها فى أعينهم وبقى هذا المنع مدة إلى أن رفع ببذل المال. فرجع إليها حينئذ كثيرون من اليهود وحسنوها وشيدوها وكان قد بلغ الإمبراطور ادريانوس أن اليهود يشيدون أورشليم ويحصنونها ليخرجوا عن طاعته فأرسل عساكره وقتل أكثرهم وخرب المدينة وجعلها مساحة واحدة وفلحها وزرعها ملحا إشارة إلى إبادتها فصارت قاعا صفصفا وفى هذه الحرب انتهى خراب أورشليم وتلاشت دولة اليهود وتشتت شملهم وانتشروا فى كل الأقطار ولم يقم لهم بعد ذلك قائم وكانت هذه الحرب سنة **١٣٢** ق.م.

فتمت نبوة السيد المسيح إذ قال لتلاميذه انه لا يترك حجر على حجر. وبعد ذلك رغب الرومان فى السكنى فى بيت المقدس وكذلك

اليهود فكان النصارى يترددون إلى موضع القبر والصليب يصلون فيه وكان اليهود يطرحون عليه الوبل ثم أخذه الرومان ونظفوه وبنوا عليه هيكلا على أسم الزهرة. وكان الرومان يولون على أورشليم قضاة وبقى ذلك إلى أيام الإمبراطور قسطنطين كما سياتى.

الفصل السادس عشر

حالة أورشليم فى مدة تولى الإمبراطور قسطنطين وإيتان أمه إليها وبنائها كنيسة القيامة وتسلط الإمبراطور يوليان وجستنيان وتولى العجم والعرب على المدينة واسترجاع هرقل إياها

وسنة ٣٢٦ بعد المسيح أتت الملكة هيلانة (١) لإقامة كنائس فى تلك المدينة وعند وصولها إلى القدس هدمت معبد الزهرة الذى بناه الوثنيون على جبل الجلجلة واعتنت بكشف قبر السيد المسيح وقد قال بعض المؤرخين أنها جاءت إلى مكان الصليب وسالت عن الخشبة التى صلب عليها فأخبرت أن اليهود كانوا قد دفنوها فى الأرض وجعلوا فوقها الأقذار فاستخرجتها للحال وعينت مع الأساقفة الذين كانوا معها ذلك اليوم عيدا لوجود الصليب (٢) وبنت على الموضع كنيسة القيامة وكان ذلك سنة ٣٢٨ للمسيح.

---

(١) والدة الإمبراطور قسطنطين الرومانى الذى بنى القسطنطينية وسماها بذلك نسبة اليه بعد أن كانت مدينة صغيرة تحت أسم بيوانتيا وكانت هذه الملكة قد اعتنقت الديانة المسيحية بعد تملك ابنها باثنتين وثلاثين سنة فاتت مصحوبة بمال جسيم خصصه ابنها لبناء كنائس فى الشرق وهو أول من تنصر وثبت من ملوك الرومان.

(٢) وقد زينت المدينة يوم وجوده بإشعال مصابيح ونار كثيرة ولم يزل ذلك جاريا إلى الآن إذ يشعلون نيرانا كثيرة فى يوم تذكار وجود الصليب.

وفى مدة تملك ابنها الملك قسطنطين الزم اليهود فى القدس أن يتنصروا فتظاهر كثيرون بالنصرانية ولكنهم لم يأكلوا لحم الخنزير وأمتنع بعضهم عن التنصر فقتل كثيرين منهم.

وسنة ٣٦١ ميلادية آتى الإمبراطور يوليان لمحاربة الشرق وبعد أن صرف فصل الشتاء فى إنطاكية توجه نحو القدس وأخذ فى جمع اليهود إلى أورشليم وابتداء بعمار هيكلهم ليبين بذلك فساد النبوات التى تشير إلى أنه لا يبنى فيما كما كان ويكذب نبوة المسيح بهذا الشأن لأنه كان قد تنصر أولا ثم رجع إلى الديانة الوثنية.

وقد قال اميانوس أحد مؤرخى الأمم الذى عاش فى تلك الأيام أنهم إذ كانوا يحفرون الأساس خرجت نار من الأرض وحرقت الفعلة وسمعوا رعودا قوية وكانت شرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل.

وسنة ٥٢٩ ميلادية بنى الملك جوستنيان الأول كنيسة عظيمة على أسم العذراء وهى التى عرفت فى الأعصر الحديثة بالجامع الأقصى وقال بعض المؤرخين أن الملك جوستنيان بنى مستشفى وإن الكنيسة المذكورة شرع فى بنائها البطريرك إلياس وتممها جوستنيان.

وبعد ذلك بمدة وجيزة أخذ العجم والعرب يفتحون حصون الرومان ورغبوا فى الإستيلاء على بلادهم وأول من حاربهم كسرى الثانى والمنذر ملك العرب الذى كان خاضعا له وقد استولى كسرى على عدة بلدان من بلدان الرومان منها أورشليم.

ونحو سنة ٥٩١ ميلادية أرسل برويز بن كسرى خسرويه مرزبانه

إلى القدس وأمره بقتل اليهود وخراب المدينة كما أنه ارسل فى ذلك الوقت قوما لخرب أماكن أخرى وذلك ليأخذ بثار صهره موريكش الذى قتله بعض مماليكه وأما خسرويه فبعد أن خرب الشام والخليل والناصرة وصور والقدس وقتل كثيرين من النصارى وخرب كنائس كثيرة ونهب أموالا وافرة مع قطعة من عود الصليب أتى إلى كسرى بالسبى والغنائم. ولما رأى اليهود أن الشام وما يليها قد خلت من الرومان ورأوا أن الفرس يحاصرون القسطنطينية اجتمعوا من القدس وطبرية وقبرص ودمشق فكانوا نحو ٢٠ ألفا وأتوا إلى صور ليملكوها وكان بها من اليهود نحو ٤ آلاف ولم يزالوا يحاصرونها إلى أن رجع كسرى من القسطنطينية فهزمهم.

وسنة ٦٢٨ ميلادية حاصر هر كليوس (المعروف بهرقل) القدس وأسترجعها للرومان ودخل بجيوشه أورشليم.

الفصل السابع عشر

إرسال أبو عبيدة سبعة أمراء لفتح أورشليم وتسليمها لعمر بن الخطاب وبناء الحرم الشريف وإستيلاء الدولة الأموية ودول لعباسيين والطولونيين والفاطميين والسلجوقيين عليها إلى دخول الصليبيين

سنة ٦٣٤ ميلادية إذ كان أبو عبيدة قائد جيوش المسلمين فى دمشق جمع أمراءهم وقال لهم : أشيروا علىّ بما أصنع وإلى أين أتوجه فقالوا : أما إلى بيت المقدس ، أما إلى قيصرية فأشار عليه معاذ بن جبل أن يستشير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه إلى المدينة وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى يستشيره بذلك فورد إليه الجواب بأن يسير إلى بيت المقدس وبشره بفتحه فقرأ الكتاب على المسلمين ففزحوا بمسيرهم إلى القدس الشريف وعند ذلك دعا أبو عبيدة خالد بن الوليد وعقد له رأية وضم إليه خمسة آلاف فارس وسرحه إلى بيت المقدس وفى اليوم الثانى دعا يزيد بن أبى سفيان وعقد له راية وأمره أن يلحق بخالد وفى اليوم الثالث دعا شرحبيل بن حسنة وعقد له راية بخمسة آلاف فارس من أهل اليمن وقال له : سر بعساكرك إلى بيت المقدس ولا تختلط بمن نقدم قبلك. وفى اليوم الرابع دعا المرقال بن هاشم وضم إليه خمسة آلاف فارس من جميع المسلمين وسرحه على آثر

شرحبيل وقال له : أنزل على حصن بيت المقدس ولا تختلط بمن نقدم وفى اليوم الخامس دعا مسيب بن نجية الفزارى وعقد له رأية بخمسة آلاف فارس من النخع وغيرهم من القبائل وأمره بالمسير فى آثر أصحابه. وعقد رأية سادسة بخمسة آلاف فارس وسلمها إلى قيس بن المرادى وسيره وراءهم. وعقد رأية سابعة وسلمها إلى عروة بن مهلهل بن زيد الخيل مؤلفه من خمسة آلاف فارس وسيرها وراءهم فكان جملة من سرحه أبو عبيدة من الشام إلى بيت المقدس سبع فرق بخمسة وثلاثين ألفا مع سبعة من أمراء المسلمين فكانوا يصلون إلى بيت المقدس الواحد بعد الآخر على سبعة أيام. فأول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد ولما شاهد المدينة كبّر ثم كبّر أصحابه فلما سمع أهل المدينة خافوا وصعدوا إلى الأماكن المرتفعة فلما رأوا قلة جيوش المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع الجيوش المهاجمة. فحل خالد ومن معه قرب الباب الذى يؤدى إلى أريحا وفى اليوم الثانى أقبل يزيد بن أبى سفيان بجيوشه وفى اليوم الثالث شرحبيل وهكذا إلى أن وصلت جميع الجيوش وحلت فى ظاهر القدس الشريف وبقيت جيوش المسلمين حالّة أربعة أيام بدون أن يتكلموا كلمة مع أهل المدينة الذين لم يخرج منها إليهم أحد وفى اليوم الخامس ركب يزيد بن أبى سفيان وأشهر سلاحه وتقدم إلى جهة السور ومعه ترجمان فوقف بإزء السور وأمر ترجمانه أن يقول لهم : أن أمير العرب يطلب منكم واحدة من ثلاث أما الدخول فى الإسلام وإما أداء الجزية وأما القتال وكان المخاطب قسا فبلّغ القس لمن وراءه ما قال الترجمان فعظم الأمر عليهم عندما سمعوا ذلك وقالوا : الموت أسهل علينا

من ذلك ، فبلغ الترجمان يزيد ذلك فلما سمع جوابهم رجع وأخبر بما أجيب وقال لقومه : ما اصطبارنا عن القتال فقالوا : أن الأمير أبا عبيدة ما أمرنا بقتال القوم بل بالنزول عليهم حينئذ كتبوا إليه يعرفونه بذلك فأجابهم أبو عبيدة يأمرهم بالهجوم على المدينة وأنه قادم فى أثر الكتاب ففرحت الجيوش بهذا الخبر واستعدوا إلى النزال وفى اليوم الثانى نهضوا للحرب فأول من برز للقتال بنو حمير ورجال اليمن فنظر إليهم أهل بيت المقدس وتلقوهم بالنبال وكان المسلمون يتلقونها بدرقهم واشتدّت الحرب من الصباح إلى المساء فلما أظلم الظلام رجع كل فريق إلى مركزه.

وفى صباح اليوم الثانى تقدم المسلمون للحرب وأنتشب القتال وكانت حرب عظيمة دامت إلى اليوم العاشر وفى اليوم الحادى عشر أشرفت رأية أبى عبيدة يحملها غلامه سالم فلما وصل إلى المعسكر ضجّت الجيوش ضجيج الفرح والسرور بقدوم قائد جيوشهم فوقع الرعب فى قلوب أهل بيت المقدس وذهبوا إلى كنيسة القيامة وأخبروا البطريرك بذلك فتقدم البطريرك والقسوس وكانوا يشجعون قومهم وكان الحرب فى الشتاء فدام أربعة أشهر كاملة وأبو عبيدة بجيوشه يحاصر المدينة وما من يوم إلا ويقاتل قتالا شديدا فلما طال الحصار على المدينة ضجر الرومان من الحرب وتقدموا إلى القائد الذى كان يدير الجيوش وقالوا له: لقد طال الأمر علينا ولم يأتنا إسعاف من مكان وربما أشتغل الملك هر قل عنا بالدفاع عن نفسه فالأولى محاسنة العرب فإن كان ما يطلبونه منا سهلا وافقناهم عليه ونجونا من الهلاك وإن كان صعبا فتحنا أبواب المدينة

وخرجنا إليهم فأما أن نقتل عن أخرنا وأما نهزمهم عنا فأجابهم القائد إلى ذلك وصعد معهم على السور وحمل الصليب وبين يديه القسوس والرهبان وبأيديهم الأناجيل مفتحة والمباخر متقدة فلما دنوا من المكان الذى كان فيه أبو عبيدة صرخ رومانىّ بالعربية قائلا قد جاء عمدة النصرانية. ثم قام أبو عبيدة ومن معه من الأمراء وأخذوا فى الكلام مع القائد وبعد حديث طويل جرى بينهم رفض التسليم إلّا عن يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب أبو عبيدة إليه إلى المدينة يعرفه بذلك ويستعطفه بالحضور لأنهاء الحرب وحجب دماء العباد فقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرسالة على المسلمين وقال ما ترون فيما كتب أبو عبيدة رحمكم الله فأجاب عثمان بن عفان رضى الله عنه قائلا يا أمير المؤمنين أن الله قد أذل الرومان وأخرجهم من الشام ونصرنا عليهم وقد انكسرت شوكتهم ولا يزدادون إلّا ذلا وضعفا فإن لم تسر إليهم رأوا إنك مستخف بأمرهم فلا يلبثون قليلا حتى يعطوا الجزية. فلما أتم عثمان حديثه قال عمر : هل عند أحدكم رأى غير هذا فأجاب على بن أبى طالب رضى الله عنه نعم عندى غير هذا الرأى وهو بما أن القوم قد سألوك وفى سؤالهم ذلك فتح للمسلمين الذين أصابهم جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام فإذا سرت إليهم فتح الله المدينة على يدك وكان فى مسيرك الأجر العظيم ففرح عمر بهذه المشورة وقال : لقد أحسن عثمان رضى الله عنه النظر فى المكيدة للعدو وأحسن رضى الله عنه على المشورة للمسلمين. ثم أنه أمر الناس بأخذ الأهبة للمسير معه والاستعداد فأسرعوا إلى ذلك وركب عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بجيوشه بعد أن أستخلف على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه ولما قرب إلى بيت المقدس أرادات الفرسان ملاقاته فمنعهم أبو عبيدة وسار هو ببعض الفرسان ولما ألتقيا تصافحوا وسلم بعضهما على البعض وسار إلى أن أجتمعا بقومهم فخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الجيوش خطابا ختمه يحثهم على الصلاة وبعد ذلك جلس فأخذ أبو عبيدة يقص عليه ما لقى من الرومان وكان عمر باهتا تارة يبكى وتارة يهدأ وبعد ذلك أمر عمر رضى الله عنه بأن يخبروا الرومان بحضوره ولما بلغ البطريرك ذلك خرج من الكنيسة ومعه القسوس والرهبان والأسقافة ومعهم الصليب وسار معهم فسلموا إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما طلبوا وحينئذ كتب أمانهم ونصه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(من عمر بن الخطاب لأهل إيليا أنهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن آه ذكره الإمام ابن خلدون) .

ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وذلك سنة ٦٣٤ م ودخل كنيسة القيامة فجلس فى صحنها وحان وقت الصلاة فقال للبطريرك : أريد الصلاة فقال : صلّ موضعك فأمتنع وصلى على الدرجة التى على باب الكنيسة منفردا فلما قضى صلاته قال : للبطريرك لوصليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون بعدى وقالوا : هنا صلى عمر رضى الله عنه. ثم قال للبطريرك : أرنى موضعا أبنى فيه مسجدا فقال :

على الصخرة وهى موضع هيكل سليمان الحكيم وكانت مغطاة بالأقذار فجعل ينظفها بيده فأقتدى به المسلمون فزالت فى الحال وأمر ببناء المسجد فبنى ولم يكن ذلك بإتقان عظيم وبقى إلى أن أتقن بناءه عبد الملك بن مروان الخامس من خلفاء بنى اميّة.

وبعد أن قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بيت المقدس عشرة أيام أعطى القدس مع أرض فلسطين والساحل ليزيد بن أبى سفيان الثانى من بنى أمية تحت ولاية أبى عبيدة ورجع إلى المدينة وهكذا استخلص المسلمون بيت المقدس مع أماكن أخرى من الإمبراطور هرقل الرومانى وصارت تحت تلسلطهم.

وإذا كان قد تم فتح القدس للمسلمين خضعت مع غيرها من أرض فلسطين لخلفاء الدولة الأموية التى كان مركزها دمشق الشام.

وسنة ٧٥ ميلادية أنتقلت من الدولة الأموية إلى الخلفاء بنى العباس الذين كانت قاعدة ملكهم بغداد واستمرت فى حكمهم إلى سنة ٨٣٣ ميلادية وفى مدة خلافتهم كانت تأتى سفراء الإمبراطور شرلمان العظيم إلى القدس ويوزعون الإحسان على المحتاجين وعند رجوعهم تذهب معهم رسل الخلفاء أخذه مفاتيح كنيسة القيامة والقبر للإمبراطور المذكور الذى ولد سنة ٧٤٢ ميلادية ومات سنة ٨١٤ ميلادية.

وسنة ٨٣٣ ميلادية دخلت تحت حكم بنى طولون حكام مصر من طرف الدولة العباسية وبقيت تحت حكمهم إلى سنة ٩٠٥ ميلادية.

وسنة ٩٠٥ ميلادية أنقلبت الدولة الطولونية عن تحتها وقامت

مكانها الدولة الفاطمية فدخلت أورشليم تحت حكمها وبقيت تحت تسلط الدولة الفاطمية إلى سنة ١٠٧٨ ميلادية وفى مدة حكم هذه الدولة احترقت كنيسة القيامة أكثر من مرة ولم يتم إصلاحها قبل سنة ١٠٤٨ ميلادية.

وسنة ١٠٧٧ ميلادية نهب القدس قائد جيش مرسل من شاه العجم إلى الولايات السورية.

وسنة ١٠٧٨ ميلادية جاءت الدولة السلجوقية التركمانية التى كان رئيسها طوغرول بك حفيد سلجوق وتغلبت على البلاد العربية فدخلت أورشليم فى حكمها وبقيت إلى سنة ١١٥٤ ميلادية وقد ثبت حكمها فى مصر وبعض أماكن أخرى إلى سنة ١١٩٤ ميلادية إذا انقرضت وقتئذ. وفى مدة حكم هذه الدولة أتت الجيوش الصليبية وحاصرت أورشليم كما سيأتى بالتفصيل.

الفصل الثامن عشر

حالة أورشليم فى حصار الصليبيين واستيلاؤهم عليها إلى أن طردهم الملك صلاح الدين الأيوبى

فى اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٠٩٩ ميلادية قدمت إليها الجيوش الصليبية [1] التى كانت وقتئذ قد ملأت سواحل سورية تحت

---

[1] بعد صعود السيد المسيح إلى السماء أخذت النصارى تتوارد إلى زيارة الأرض المقدسة وعلى الخصوص مدينة القدس الشريف التى صلب بها المسيح.

ومن الذين زاروا القدس فى أواخر الجيل الحادى عشر بطرس الناسك الذى ولد سنة ١٠٥٠ ميلادية من عائلة كريمة فى أميان فى بيكارديا من أعمال فرنسا وكان قد تجند وحصل على شهرة عظيمة ببسالته وإقدامه وكان متزوجا وله أولاد غير أنه ترك وظيفته العسكرية وامرأته وأولاده وذهب متعبدا متنسكا ومتشحا بالثوب الرهبانى. وإذ رأى ذات يوم أناسا متوجهين إلى زيارة أورشليم سار برفقتهم وكان دلك سنة ١٠٩٣ ميلادية ولما وصل إليها قابل بطريركها سمعان وبعد مخاطبات جرت بينهما اتفقا على أن يذهب بطرس إلى أوروبا ويهيج أهلها ليأتوا بعساكر جرارة تحت رأية الصليب وتدعى العساكر الصليبيين لاستخلاص الأرض المقدسة من يد المسلمين فذهب بطرس الناسك إلى البابا أوربانس الثانى وبلغه إرادته وسلمه تحريرا من بطريرك أورشليم ففرح البابا بذلك وأمره أن يجول فى مدن أوروبا مناديا بذلك ومهيجا الشعب فكان يجول حافيا من مكان على آخر متمنطقا بحبل وأخذ فى أن يهيج الشعوب الأوروبية فجمع جيشا عظيما بعد أن كان قد حرك بوعظه أنعقاد مجمع كليرمون (سنة ١٠٩٥ ميلادية) الذى قرر إشهار الحرب الصليبية الأولى فجمع جيشا عظيما

وسار به نحو الأرض المقدسة وإذ كانت الذخائر والنقود قليلة معه هلك كثيرون من جنوده فى بلاد المجر وبلاد البلغار وآسيا الصغرى ورجع بعدد قليل إلى القسطنطينية حيث انضمت بقايا جنوده إلى الجنود المنظمة التى وصلت بعد مدة وجيزة وقد خطب خطابا على الصليبيين المجتمعين على جبل الزيتون وعند رجوعه إلى أوروبا دخل دير نومونيه الذى كان قد أسسه ومات فيه سنة ١١١٥ ميلادية وقد أقامت له مدينة أميان التى ولد فيها مثالا سنة ١٨٤٥ ميلادية فهذا هو أصل الحروب الصليبية وأما الوقائع والحوادث التى جرت لهم فيها فلا حاجة إلى ذكرها إذ أننا أقتصرنا على ذكر ما جرى منها فى أورشليم وبعض متعلقاتها كما يأتى.

قيادة رؤسائهم الآتى ذكرهم وهم غودافروا كبيرهم (الذى بعد أن استولى على المدينة أراد الصليبيون أن يقيموه ملكا فرفض ذلك وتمنع عن أن يتتوج إذ قال : أنه لا يلبس التاج ويدعى ملكا فى مكان كلل فيه السيد المسيح بالشوك) وأخواه اسطاكيوس وبودوين وروبرتس دوق نورمانديا. ودوق فلاندرا وتنكريد. وكونت طولوزا. وريموند دواورانج. وغوليوم دو مونت بيلير وغاطون دوبيران. فهؤلاء هم رؤساء الصليبيين الذين حاصروا أورشليم بخمسين ألف مقاتل وكان والى المدينة وقتئذ رجل من قبل المستعلى بالله أحد الخلفاء الفاطميين بمصر فلما علم بقدوم هذه الجيوش حصن المدينة بالعدد والجيوش. وأما الجنود الصليبية ففى غد وصولها أخذت فى حصر المدينة وقد حدثت وقائع كثيرة بدون أن ينتصر أحد لأن قوة الفريقين كادت تكون متساوية فلما رأى الصليبيون عدم نجاحهم أصطنعوا آلات كثيرة وابراجا خشبية أتوا بأحشابها من نواحى نابلس وجددوا حصار المدينة فكانت جيوش الإسلام تقذف عليهم نارا بواسطة أخشاب مضطرمة مطلية بالزقت والقطران

غير أن ذلك لم يثن المحاصرين عن عزمهم فبعد حروب شديدة وصدمات مريعة استولوا على المدينة وجعلوها مقر ملكهم غير أنهم قتلوا كثيرين من أهاليها وأرتكبوا فظائع كثيرة وبعد استيلاء الصليبيين عليها بخمسة عشر يوما أتى سلطان مصر بعسكر جرار لاسترجاعها فالتقاه غودافروا بجيوشه عند عسقلان فكسره وشتت شمله.

وبقى غودافروا سلطانا على فلسطين التى كان كرسيها أورشليم إلى سنة ١١٠٠ ميلادية حيث توفى فى ١٨ تموز من السنة المذكورة ودفن

فى كنيسة القيامة بكل إكرام وقد حزن عليه الجميع لما كان عليه من حسن الصفات. وكان وقتئذ بطريرك أورشليم دايبارتوس فرغب فى أن يستولى على المملكة مع البطريركية فلم يرتض الشعب بذلك فكتب إلى بوهيموند ملك إنطاكية (من الملوك الصليبيين) طالبا مساعدته بذلك فلم يجب طلبه أما رجال الدولة فأستحسنوا أن يولوا على أورشليم بودوين سلطان الرها (أورفه) شقيق غودافروا وعندما طلبوا إليه ذلك أجاب طلبهم وأتى بأربعمائة فارس وألف ماش وتملك أورشليم سنة ١١٠٠ ميلادية.

وسنة ١١٠٤ ميلادية زحف الملك بودوين الأول بجيوشه لفتح عكا بالأتفاق مع قواد آخرين من الصليبيين الذين كان تحت أمرهم سبعون مركبا فأتوها بمراكبهم وشددوا الحصار فدام عشرين يوما ثم سلمت المدينة فرجع الملك بودوين إلى عاصمة مملكته.

وسنة ١١١٠ ميلادية ذهب بودوين الأول ملك القدس لأخذ بيروت فحاصرها خمسة وسبعين يوما فسلمت له فأستولى عليها ورجع إلى كرسى مملكته.

وسنة ١١١٨ ميلادية بينما كان بودوين الأول مشغلا بالحروب والفتوحات وكان قد ساق عساكره إلى نواحى عريش مصر اعتراه مرض عضال ولما شعر بقرب نهاية إيامه طلب من قواده أن يدفنوه بعد موته فى كنيسة القيامة بقرب ضريح أخيه فكان كذلك وقد حزن على فقده جميع رعاياه وتولى بعده بودوين الثانى ملك أورفه.

وسنة ١١٢٠ ميلادية إذ حدثت وقائع بين ملك إنطاكية وبين الجيوش الإسلامية كتب ملك إنطاكية يستدعى ملك القدس لمعونته فحضر ومعه أمير أورفه وأمير طرابلس وقد جرت بين الفريقين معركة دموية كان النصر بها للصليبيين بواسطة الملك بودوين الذى رجع إلى أورشليم بعد هذا الأنتصار.

وسنة ١١٢٣ ميلادية بلغه أن جيوش المسلمين حاربت أورفه وأخذت أميرها أسيرا فنهض برجاله لانقاذه من الاسر لما وصل بينما كان يعزى سكانها على ما جرى لهم أحاطت الجيوش الإسلامية به وأخذوه أسيرا وأرسلوه إلى قلعة بين النهرين وسجنوه مع أمير أورفه.

ولما بلغ عساكر المسلمين أسر ملك أورشليم استغنموا الفرصة لاستخلاص فلسطين من الصليبيين فوجهوا فرقتين من جنودهم لأخذ يافا الواحدة من جهة البحر والأخرى من جهة البر. أما الصليبيون فكانوا قد أقاموا نائبا لملك أورشليم أوسطاكيوس دواغرين والى صيدا فقصد محاربتهم فى يافا وأتاهم من صيدا بجيش عددع ثلاثة آلاف وبعد حروب انتصر الصليبيون وتم ذلك سنة ١١٢٤ ميلادية.

وفى هذه السنة أتت نجدة من جمهورية البندقية مؤلفة من واحد وعشرين مركبا وبعض العساكر المشاة تحت أمرة الدوق ميخائيل فلما وصل الدوق المذكور إلى نواحى عكا أرسى السفن هناك وسار إلى أورشليم فأستقبله أهلها بمزيد الإكرام ثم أنه صار عقد مجلس مركب من ملك أورشليم ونائبها والدوق ميخائيل وأمير طبريا وغيرهما من الأمراء

بخصوص حصار مدينة صور فتم ذلك وذهبوا إلى الحرب وبعد حصار دام أكثر من خمسة أشهر استولوا على المدينة ولما بلغ أورشليم ذلك زينت أبنيتها علامة لسرورها.

أما بودوين الثانى ملك أورشليم فإذ بلغه انتصار الصليبيين فرح فرحا لا يوصف وخاطب آسريه بأمر فدية يوصلها إليهم فقبلوا بذلك وأطلقوه فلما خرج من الآسر جمع جانبا من العساكر وأقام عدة حروب فى طريقة فاز ببعضها وأنكسر بالبعض الآخر ثم وصل إلى أورشليم.

وسنة ١١٣١ ميلادية توفى بودوين الثانى وإذ لم يكن له ذكر أوصى قبل موته بتاج ملك أورشليم لفلوكس دو أنجو الذى كان قد زوجه بأبنته

وكان هذا الأمير من الذين أتو أولا مع غودافروا. فبعد أن دفن الملك فى قبر الملوك توج صهره ملكا على أورشليم.

أما الملك فولكس فلم تحدث فى أيامه حروب كثيرة كغيره غير أنه فى سنة ١١٤٣ ميلادية حاصر مدينة بانياس وأمتلكها بعد حصار عدة أيام وبعد ذلك بمدة بينما كان سائرا فى سهول عكا سقط عن فرسه ومات وملك بعده ابنه الأكبر بودوين الثالث الذى لم يكن له من العمر سوى ثلاث عشرة سنة فتولى بودوين الثالث سنة ١١٤٤ ميلادية.

وسنة ١١٤٥ ميلادية إذ كان قد بلغ سن الأربع عشرة لبس تاج أبيه وتقلد سيفه وجرده أمام عساكره وسار بها إلى ما وراء الأردن وهناك أقام حربا عظيمة أنتصر بها وأستولى على وادى موسى ورجع إلى

أورشليم ظافرا.

ولما رأى بودوين أنه فاز بالغلبة على أعدائه قصد الذهاب إلى امتلاك بصرى [1] فى رأس حوزان فذهب بجيوشه غير أنه إذ لم ينجح رجع عنها مكسورا إلى أورشليم.

وسنة ١١٤٨ ميلادية إذ كان كونراد الثالث ملك جرمانيا ولويس السابع ملك فرنسا آتيين بجيوشهما لمساعدة الصليبيين التقتهم جيوش المسلمين فى الطريق وأهلكت جانبا من رجالهم فنزلوا فى السفن وتوجهوا على القدس

وانضموا على اللاتين الذين كانوا هناك ومنها ذهبوا مع ملك القدس بودوين الثالث إلى دمشق للاستيلاء عليها وكان والى دمشق يومئذ وقائد جيوشها الأمير أيوب مقدام الدولة الأيوبية وأول رجالها وبعد أن وصلوا إليها أقاموا عليها الحصار ونصبوا على أبراجها المجانق والآلات ونازلوها مدة طويلة بدون نتيجة ولما يئسوا من استخلاصها انكفوا عنها راجعين إلى أورشليم.

وسنة ١١٥٣ ميلادية زحف بودوين الثالث لحصار مدينة عسقلان فأخذها بعد حصار طويل وبعد ذلك ذهب لانطاكية فمرض فيها ولما اشتد مرضه أمر أن ينقل إلى طرابلس شام ثم إلى بيروت ومات فيها سنة ١١٦٢ ميلادية فنقل جسمه على أورشليم ودفن فى كنيسة القيامة مع ملوك الصليبيين.

---

[1] ضم الباء (بصرى) بلدة فى سوريا دخلها النبى محمد عليه الصلاة والسلام لتجارة.

وإذ لم يكن له ولد ملك بعده أخوه أمورى الذى كان متواليا على عسقلان ويافا فتتوج بعد مقاومات كثيرة لعدم أهليته للأرتقاء إلى مركز كهذا ولما تولى شرع فى حروب كثيرة فى سورية ومصر وكان تارة ينتصر وطورا ينكسر وتوفى سنة ١١٧٤ ميلادية وتولى الملك بعده ابنه بودوين الرابع وله من العمر ثلاث عشرة سنة وقد بلى بالبرص فلقبه المؤرخون بالملك الأبرص ولسبب مرضه أقام وكيلا عنه رايموند أمير طرابلس غير أنه عندما بلغه هجوم السلطان صلاح الدين الأيوبى على مدينة عسقلان جهز جيشا وسار لمحاربته وبعد حروب شديدة فاز بودوين الرابع بالغلبة وذلك سنة ١١٨٨ ميلادية وبعد ذلك فقد هذا الملك نظره. وحينئذ سلم مملكته إلى لوزنيانا زوج أخته

سيسبلا إذ كان غير أهل لذلك عزله الملك وسلم المملكة لرايموند أمير طرابلس وبعد ذلك بقليل تنزل هذا السلطان عن ملكه لابن أخته الذى لم يكن له من العمر سوى خمس سنوات وهكذا صعد على كرسى ملك أورشليم سنة ١١٨٥ ميلادية وسبى بودوين الخامس وسنة ١١٨٧ ميلادية توفى بودوين الرابع وفى هذه السنة توفى بودوين الخامس أيضا وبعد وفاته تزوجت أمه سيسبلّا بغوى دولوزنيانا وكان رجل ذميم الأخلاق قبيح السيرة إلّا أنه كان جميل الصورة فجعلته ملكا على أورشليم فساء هذا الأمر فى أعين جميع العظماء ورؤساء الصليبيين فنفر أكثرهم وخلعوا طاعته ومن جملتهم الكونت ريموند الذى إذ لم يحصل على التاج الملكى خان ابناء وطنه وكاتب الأعداء سرا منهضا همتهم على الحرب وافتتاح البلاد.

وفى تلك السنة أى سنة ١١٨٧ ميلادية قدم صلاح الدين الأيوبى سلطان مصر لمحاربة الصليبيين وأحاط بمدينة طبريا وحينئذ وافاه ملك القدس بجيوش كثيرة للمدافعة والمحاماة عن تلك المدينة لأنها كانت لهم من أهم مراكز البلاد وهناك بعد حرب دامت نحو يومين كاميلين ومعركة دموية دارت الدائرة على الصليبيين فقفلوا راجعين إلى القدس بعد أن قتل منهم ثلاثون ألف رجل وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين ٢٣٠ رجلا من أعيان الأفرنج وقد أسر ملك أورشليم أيضا.

وبعد هذه الحادثة بنحو ثلاثة أشهر زحف صلاح الدين بجيوشه على القدس ولم يكن فيها أكثر من ١٠٠ ألف نفس والملكة التى لم تستطيع الثبات

أكثر من أسبوعين إذ كانت أفكارها مضطربة لأسر زوجها فسلمت بشروط صار الآتفاق عليها وهى أن جميع الأفرنج يخرجون من المدينة ويرحلون بعيالهم وأموالهم وتكون لهم الحماية فيصلون آمنين إلى سواحل سورية أو مصر وأن كلّا من الأهالى يدفع للسلطان صلاح الدين مبلغا معلوما فدية عن حياته والذى لا يدفع يبقى كعبد وأسير غير أن صلاح الدين أظهر من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه فأطلق ٣٠٠٠ رجل بدون فدية وأظهر للملكة كثيرا من الرقة والطف وكان يعزيها بكلامه وبدموعه معا ووزع كثيرا من الإحسان على الفقراء والأرامل وإيتام القتلى وسمح للمتوجلين أمر المستشفيات بأن يبقوا مدة سنة أخرى لملاحظة المرضى والعاجزين والاعتناء بهم.

فخرج المنفيون من أورشليم وكانوا تائهين فى أراضى سورية فى حالة يرثى لها يلتمسون لأنفسهم المعونة والمساعدة وكثيرا ما كان نفس المسيحيين يطردونهم.

وسنة ١١٩١ ميلادية عزم ريكاردوس ملك الإنكليز على حصار عسقلان ولما أشرف عليها وافاه الملك صلاح الدين بثلاثمائة ألف مقاتل وانتشبت بينهما حروب هائلة لم يسمع بمثلها من قبل وكانت الدائرة على عساكر صلاح الدين فأنهزموا بعد مقتلة شديدة فقد بها من جيوش صلاح الدين نحو أربعين ألف جندى من شجعان العساكر وفاز الملك ريكاردوس بالنصر وأستولى على عسقلان وباقى مدن اليهودية أما الملك صلاح الدين فالتجأ إلى مدينة القدس وحصن قلاعها وأبراجها وملأها بالعساكر والجنود وتوقفت الحرب لسبب فصل الشتاء.

وفى بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيوشه على القدس التى كانت مبتغاه الأقصى فهاج الأهالى وأعتراهم الرعب عند قدوم هذا الجبار فحاصر المدينة وشيق عليها ثم رجع عنها إذ صادف صعوبات كثيرة وكانت عساكره قد ضجرت من الحروب.

وفى أثناء ذلك زحف صلاح الدين من القدس بستين ألف مقاتل لاستخلاص مدينة يافا وعندما أوشك أن يفتحها وافاه ريكاردوس فحاربه وهزمه.

وبعد ذلك جرت مخابرات بشأن الصلح بين الملك صلاح الدين وريكاردوس وأول شرط طلبه ريكاردوس تسليم القدس وفلسطين

وترجيع خشبة الصليب فرفض صلاح الدين هذا الطلب ولم يسمح بتسليم فلسطين وصار الأتفاق على عمل هدنة ثلاث سنوات فى أثناء هذه يسمح للمسيحيين بأن يزوروا القدس فى أى وقت أرادوا بدون معارضة ولا دفع جزية وبعد أتمام هذه المعادة رجع ريكاردوس إلى أوروبا وبعد ذلك بمدة قليلة توفى صلاح الدين وتولى الأمر أخوه سيف الدين وغذ كانت أورشليم فى يد المسلمين تسمى عليها أربعة ملوك وهم كادى لاسكنان وهنرى الثانى وأمورى لاسكنان ويوحنا بريان ولم نذكر عنهم شيئا هنا لعدم أهمية ما أجروه فى أورشليم.

وسنة ١٢٢٨ ميلادية إذ كانت تجهزت حملة سادسة من الصليبيين تحت قيادة فريدريكوس الثانى ملك المانيا وكان فى تلك المدة قلاقل بين المسلمين وأمرائهم والمتقدمين فيهم اضطر الملك الكامل ناصر الدين بن سيف الدين الذى كان كرسيه فى مصر أن يعقد معاهدة مع الملك فريدريكس المذكور فأرسل يستدعيه إليه واعدا إياه بأعطاء أورشليم فنهض فريدريكوس بأربعين ألف مقاتل إلى عكا ومنها إلى القدس بدون أن يعارضه أحد وبعد ذلك عقد عهودا بينه وبين المسلمين وهى أن القدس ويافا وبيت لحم والناصرة وما يجاورهما يكونون فى أيدى المسيحيين فتم ذلك ولكن عامةّ الصليبيين لم يسروا بأعمال فريدريكوس لأنهم كانوا يحسبونه محروما من قبل الكرسى الرومانى لأنه كان قد جرت اختلافات بينه وبين البابا ولذلك رفضوا طاعته وتمنع بطريرك اللاتين عن حضور تتويجه ولذلك مد فريدريكوس يده وأخذ التاج عن قبر السيد المسيح ووضعه على راسه فكان تتويجه فى سنة ١٢٢٩

ميلادية وبعد مدة عاد إلى بلاده.

وسنة ١٢٤٠ ميلادية إذ كان المسلمون قد نقضوا الشروط التى عقدها ملك جرامانيا والملك ناصر الدين وكان قد تجرد جيش صليبى سابع مؤلف من انكليز وفرنساويين تحت قيادة بعض الأمراء قبل ذلك بنحو سنة قام قائد فرقة انكليزية وهو الأمير كورتوال وعزم على إقامة حرب عظيمة ليستخلص البلاد من المسلمين وإذ كان يومئذ السلطان مشغلا فى حرب أخيه فى دمشق عقد صلحا مع الأمير المشار إليه وأعطاه القدس وبيروت والناصرة وبيت لحم وجبل تابور وقسما كبيرا من الأراضى المجاورة وتم ذلك سنة ١٢٤٣ ميلادية.

وبينما كان الصليبيون فى ارغد عيش باسترجاع تلك الأراضى دهمتهم مصيبة لم تخطر لهم ببال وهى ظهور جنكيزخان الذى أقام الحرب بين طوائف العرب والتتر والعجم فأقلق بغاراته البلاد وأنهزمت الشعوب من أمامه ومن جملتهم شعوب خوارزم الذين أحاطوا بسورية وتغلبوا عليها وفتكوا بأهلها ونهبوا بيت المقدس وقتلوا كثيرين من الآلكيروس فى كنيسة القبر المقدس واستولوا على المدينة وبقيت أورشليم فى حكم الخوارزميين إلى سنة ١٢٤٧ ميلادية حيث قدم الملك المظفر سلطان مصر [١] من ملوك الدولة الأيوبية وطردهم إلى تخومهم الكائنة على شطوط بحر الخزر.

---

[١] هو الظاهر بيبرس بعد قتله القائد قطز.

الفصل التاسع عشر

حالة أورشليم.. بعد انقراض الدولة الأيوبية وإستيلاء الجراكسة والتتر عليها إلى الفتح العثمانى

وبعد ذلك انقرضت الدولة الأيوبية وأصبحت القدس مع غيرها بيد الدولة الجركسية إحدى فروع الدولة التركية وكانت قد انحطت عن قوتها وضعفت فلم يعد يحدث فيها شيء يستحق الذكر وكانت بداية الدولة الجر كسية سنة ١٣٥٠ ميلادية وحكمت إلى سنة ١٥١٧ ميلادية وكانت أورشليم خاضعة لملوك مصر الجراكسة أى المماليك الأولين.

وسنة ١٤٠٠ ميلادية قدم تيمور لنك المغولى واستولى على سورية وغيرها خاضعة لدولة المماليك إلى سنة ١٥١٧ ميلادية كما ذكر.

الفصل العشرون

أورشليم من خضوعها لسلاطين آل عثمان العظام

وفى هذه السنة : استفتح السلطان سليم الثانى ابن السلطان بيازيد العثمانى بلاد سورية ودخلت القدس فى حكم سلاطين آل عثمان ولم تزل خاضعة مع سورية للدولة العلية.

وقد مر السلطان سليم فى القدس وزار قبور الأنبياء ورأى الآثار القديمة وبقى سائرا فى طريقه على مصر وقد خلف السلطان سليم الأول السلطان سليمان وهو الذى بنى أسوارها الحاضرة وفتح فيها أربعة أبواب لكل جهة بابا.

وسنة ١٨١١ ميلادية احترقت كنيسة القيامة وتجدد بناؤها فى السنة الثانية.

وسنة ١٨٣١ ميلادية أتى إبراهيم باشا بن محمد على باشا عزيز مصر وحاصر عكا التى كان واليها حينئذ تملك قسما كبيرا من سورية فدخلت القدس فى حكمه سنة ١٨٣٢ ميلادية.

وسنة ١٨٤٠ ميلادية استرجعتها الدولة العلية من إبراهيم باشا بعد عدة حروب وقد أتحدت مع الدولة العلية على رفع الحكومة المصرية

دول أوروبية.

وسنة ١٨٥١ ميلادية جرى فى هذه المدينة بعض أسباب جعلت سببا للحرب العظيمة التى جرت بين الدولة العلية والمسكوب وذلك أنه كان يوجد اختلافات مزمنة بين الروم واللاتين بسبب كنيسة القيامة وبعض الأماكن المقدسة فكانت كلّ من الطائفتين تدعى لذاتها حق الرياسة والتقدم على الأخرى باستلام مفاتيحها وإذ كانت روسيا قد جعلت الشرق مطمح نظرها استغنمت هذه الفرصة لمحاربة الدولة العلية فأشهرت الحرب المعروفة بحرب القرم.

وبعد أن استرجعت الدولة العلية سورية من الحكومة المصرية سنة ١٨٤٠ ميلادية كانت تارة تجعل القدس تابعة لايالة صيدا وطورا تجعل المتصرفية مرتبطة رأسا بالباب العالى وكان كثيرون من أصحاب الدعاوى التى لا تحل حلّا موافقا يستأنفونها إلى بيروت التى صارت مركزا لايالة صيدا بعد سنة ١٨٦٠ ميلادية أقام الباب العالى واليا فى دمشق وصارت القدس متصرفية تابعة لولاية سورية التى مركزها الشام فأنها كانت لواء كلواء بيروت وله متصرف وبعد سنة ١٨٧٠ ميلادية تعلقت رأسا بالباب العالى.

وسنة ١٨٧٣ ميلادية صدر أمر من الباب العالى بإرسال كيرللس بطريرك الروم الأرثوذكس من القدس إلى الأستانة العلية تحت الحفظ وسبب ذلك هو انه عندما دعى إلى الأستانة للمباحثة مع البطريرك المسكونى

القسطنطينى والبطريرك الإسكندرى والبطريرك الأنطاكى بشأن البلغار الذين كانوا قد وقعوا تحت حرم البطريك المسكونى تمنع عن تقرير انشقاقهم عن الكنيسة الأرثوذكسية كبقية البطاركة وبعد أن رجع إلى مقر كرسيه بمدة صدر ذلك الأمر بفصله عن وظيفته وإرساله إلى الأستانة تحت الحفظ فتوجه إليها وسكن جزيرة كرنكبو ولا يزال منفصلا إلى الآن. وبعد ذهابه من القدس أقام المجمع الأورشليمى بالنيابة عنه نيافة بروكوبيوس مطران غزة وفى أثناء ذلك حدثت أختلافات كثيرة بين خدمة الدين والأهالى من الروم الذين كان أكثرهم متحزبين للبطريرك السابق. ثم أقامه ذلك المجمع بطريركا أصيلا وصدر أمر الباب العالى بتثبيته ولا يزال غبطته متقلدا منصب البطريركية إلى الآن.

ومن نحو ثلاث سنين أجتهدت السيدة كانتز الانكليزية بجلب ماء برك سليمان إلى هذه المدينة ولم تفز بالمرغوب فجددت الطلب فى هذه السنة ووجهت طلبها إلى الباب العالى رأسا فأجاب بقبول ذلك وارسل الأوامر اللازمة بهذا الشأن إلى متصرف القدس وقد تخمنت المصاريف فبلغت نحو ٣٥ الف ليرا استرلينية وقد تعدلت المصاريف السنوية فبلت ستين ألف غرش تكفلت طوائف المدينة بتقديمها ، فدير الروم يدفع ١٠ آلاف ودير اللاتين ٣٥٠٠ ودير الأرمن ٣٥٠٠ والحمامات عشرين الف غرش والباقى تدفعه الجوامع والطائفة الإسرائيلية وقد تقرر ذلك وقد قيل أنه سيصير الشروع فى جلبها فى الربيع القادم.

الفصل الحادى والعشرون

وصف حالة أورشليم الحاضرة

هذا تاريخ أورشليم المدينة العظيمة التى كانت مطمحا لنظر ملوك الدنيا ومولدا ومدفنا لأنبياء كثيرين ومهلكا لألوف آلوف من العساكر الآشوريةّ والبابليّة والمصريّة واليونانيّة والرومانيّة والتتريّة والعربيّة والإفرنجيّة بأجناسها المختلفة فكم قهرت ممالك وكم من ممالك قد قهرتها. وإذ قد انتهينا من تاريخها نجعل الختام وصف حالتها الحاضرة فنقول

أن عدد سكان هذه المدينة الآن هو نحو ٣٥ ألف نفس وفيها كثير من الأبنية العظيمة اشهرها بناء أن إحداهما جامع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الحرم الشريف بنى حيث كان هيكل سليمان فى جبل المرّيا وداخله الصخرة التى يقال إن إبراهيم الخليل أب الأباء أتى بابنه إسحق ليقدمه ذبيحة لله عليها والثانى كنيسة القيامة أسستها الملكة هيلانة وداخلها أماكن كثيرة متسعة لكثير من طوائف النصارى فكنيسة نصف الدنيا مختصة بطائفة الروم أما القبر المقدس فهو للجميع بالاشتراك وحيث جلد المسيح مختص باللاتين فقط والجلجلة للروم واللاتين وغير أماكن لغيرهم واشهر أبنية المدينة الحديثة فى خارج البناية المسكوبية وهى كنسية ودير للرهبان الروسيين وهى عظيمة البناء من

أجمل الأماكن الحديثة فى القدس ولها أرض متسعة محاطة بسور

وفيها أيضا : كنيسة متقنة البناء للأنكليز الأسقفيين وأسقفها المطران صموئيل كوبت و– له أيضا مدرسة للصبيان فى جبل صهيون وعن قريب سينتهى بناء كنيسة للأنجيليين بمساعدة القس أوغسطوس كلين وهذه على نسق الأولى إلّا أنها أصغر قليلا منها.

وفى جنوبى المدينة جبل صهيون وفيه كنيسة حبس المسيح وهذه الكنيسة بيد الأرمن وفيها محلات متسعة لقبول الزائرين وفيها مقام داود النبى عليه السلام والمغارة التى دفن فيها وفى هذه الجهة مقابر لطوائف النصارى وغلى الجهة الجنوبية من ذلك بركة السلطان المعروفة بالتوارة ببركة حزقيا السفلى ووادى ابن هنوم ودير أبى طور وحقل الفخارى وهناك قناة الماء التى توصلّ ماء برك سليمان إلى الحرم الشريف.

وفى شرقى المدينة باب ستى مريم وبركة حجى ملاصقة به وبالقرب من ذلك تلة صغيرة من حجارة يقال أنه هناك رجم استفانوس وعن بعد بعض خطوات كنيسة ستى مريم وبستان الجسمانية ووادى قدرون وطنطور فرعون المعروف بالتوارة (نصب ابشالوم) وبالقرب منه قبور اليهود وقرية سلوام وبركة سلوام وبئر أيوب.

وفى المدينة مطبعة للروم وهى المعروفة بمطبعة القبر المقدس ومدرسة المصلبة للطائفة المذكورة وهذه خارج المدينة وهى مدرسة عالية يعلمون فيها علوما كثيرة مع عدة لغات وداخل المدينة مطبعة عظيمة للأرمن اليعقوبيين وكنيسة ومدرسة مار يعقوب أيضا لتلك الطائفة. ومدرستان

الواحدة للصبيان والأخرى للبنات اللاتين ومدارس وأماكن أخر عديدة لا حاجة لذكرها.

الخاتمة

بيان أسماء أورشليم وبعض ملوكها وحكامها والدول التى تولت عليها تسمت : -

اولا : ساليم.

ثانيا : يبوس.

ثالثا : أورشليم.

رابعا : إيليا.

خامسا : بيت المقدس.

سادسا : القدس الشريف.

وقد خضعت هذه المدينة لدول كثيرة كما ترى :

اولا : ملكيصادق

ثانيا : اليبوسيين

ثالثا : الإسرائيليين

رابعا : ملوك يهوذا

خامسا : ملوك آشور

سادسا : ملوك بابل

سابعا : فراعنة مصر

ثامنا : ملوك اليونان

تاسعا : ملوك المكابيين

عاشرا : ملوك الرومان

حادى عشر : أكاسرة العجم

ثانى عشر : الخلفاء الأمويين

ثالث عشر : الخلفاء العباسيين

رابع عشر : الدولة الفاطمية

خامس عشر : الدولة السلجوقية

سادس عشر : الصليبيين

سابع عشر : الأيوبيين

ثامن عشر : التتر

تاسع عشر : الدولة العثمانية

وما يأتى أسماء بعض الملوك الذين ملكوا فيها وبعض حكامها والدول التى تولتها : –

مليكصادق

أدونى صادق فى عصر يشوع من ملوك الأمم

ملوك إسرائيل

داود النبى

سليمان الحكيم

رحبعام بن سليمان

ابيام بن رحبعام

آسا بن ابيام

يهو شافاط بن آسا

ياهو بن يهو شافاط

يهوا حازين بن يهورام

عثيليا أم اخزيا

امصيا بن يواش

عزيا بن امصيا

يوثام بن عزريا

احاز بن يوثام

حزقيا بن احاز وفى أيامه خضعت أورشليم لملوك آشور.

منسى بن حزقيا

آمون بن منسى

يوشيا بن أمون

يهوا حاز بن يوشيا

يهو ياقيم بن يوشيا وفى أيامه خضعت أورشليم لملوك بابل.

صدقيا بن يوشيا

زر بابل بن شالتيئيل

عزرا الكاهن

نحميا بن حكليا

بعد نحميا كان الأحبار يتولون الكهنوت والأحكام معا إلى أن خضعت لإسكندر المكدونى وبذلك الوقت خضعت لدولة اليونان.

بطليموس لاجوس دولة البطالسة

أنتغونوس أحد قواد إسكندر من ملوك اليونان

ديمتريوس بن انتيغونوس

بطليموس لاجوس دولة البطالسة

سلوقس الغالب أول الدولة السلوقية

أنتوخوس سوتير

أنتيوخوس ثيوس

سلوخس ثيوس

يلوخس كيروتوس

أنتيوخوس الكبير

سلوخس فيلوباتر

أنتيوخوس ابيفانوس

رؤساء يهوذا المكابيون وقد خضعوا أحيانا لليونان

متاثيا

يهوذا ابنه

يوناثان أخو يهوذا

سمعان أخو يهوذا أيضا

هركانوس الأول ابن شمعان

ملوك المكابين وقد خضعوا أحيانا لليونان وللرومان

أرسطوبولوس

إسكندر جانيوس أخو ارسطوبولوس

الكسندرة امرأته

هر كانوس الثانى ابن جانيوس

أريسطوبولوس الثانى ابن جانيوس

هر كانوس الثانى أيضا

أنتغونوس بن أريسطوبولوس الثانى

ملوك وولاة من قبل الرومانيين

هيرودس الكبير الأدومى

أرخلاوس ابنه

بوبليوس وهو رومانى

ولاة آخرون رومانيون

بيلاطس البنطى وهو رومانى

اغريباس وهو ابن هيرودس

فاروس وهو رومانى

طيباريوس

كومانوس وهو رومانى

فيلكس وهو رومانى

فستوس وهو رومانى

ملوك رومانيون

تيطس بن وسيبسيانس

الإمبراطور ادريانوس

الإمبراطور قسطنطين

الإمبراطور يوليان

جوستنيان الأول

كسرى الثانى ملك العجم

الإمبراطور هر قل رومانى

يزيد بن ابى سفيان من الخلفاء الأمويين

خلفاء بنى العباس

بنو طولون من قبل بنى العباس

الدولة الفاطمية

الدولة السلجوقية

وفى أيام هذه الدولة أخذ الصليبيون المدينة وما يأتى أسماء ملوكهم:-

كودافروا دوبولون

بودوين الأول

بودوين الثانى

فولكس دوانجة

بدوين الثالث

أمورى

بودوين الرابع

بودوين الخامس

غوى دولوزنيانا

سيسبلّا الملكة

كادى لاسكنان

هنرى الثانى

أمورى (من لاسكنان)

يوحنا بريان

الإمبراطور فريدريكس الثانى

الأيوبيين سلاطين مصر

السلجوقيون أيضا

الدولة العلية العثمانية

السلطان سليم الأول

السلطان الأعظم والخاقان الأفخم السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان المليك الحالى.

أما متصرفية القدس الآن فهى بيد صاحب السعادة كامل باشا متصرف بيروت سابقا

الفهرس